٣٩ **شهرزاد** ٣٩

39 **Scheherazade** 39

العدد ٣٩

١٠ مليات

١٩٣٠/٦/١١

الاشتراك بالقرش المصرى
٦٠ للجمهور فى مصر
٤٠ للطلبة « «
١٠٠ مع الجديد للجمهور « «
٧٠ « « للطلبة « «
ص
وللخارج بزيادة ٣٠ لكل مجلة
الادارة : ٦٤ شارع فؤاد (بولاق)
تليفون ١٢ - ٥٣ مدينة

شهرزاد

لصاحبها ورئيس تحريرها محمد المرصفى

SCHEHERAZADE
Directeur - propriétaire :
MOHAMED EL MARSAFI
DIRECTION - ADMINISTRATION
64, Avenue Fouad 1 er
Tel : Madinah 53 — 12

فهرس قصص العدد التاسع والثلاثين

٥٠٥ ص ٤ - الأستاذ مرسى بين خليلة وحليلة
« ٦ « « ٨ - بطولة الراهبة
« ٥٠٧ « ١٢ - الشريدة
« ٥٠٨ « ١٧ - تجديد الحب
« ٥٠٩ « ١٩ - اللطمة المباركة
« ٥١٠ « ٢٧ - سخرية الأقدار
م ٥١١ ص ٣٠ - ٢٥٠ جنيها في العام - الحب لا يغنى عن المال لضمان السعادة الزوجية
« ٥١٢ « ٤٠ - صديق الأطفال أو القربان البشرى
« ٥١٣ « ٤٣ - العطف — يزعم أنه طريد العدالة فتؤويه في بيتها ثم يأتلفان

فهرس للصور

٩ - الراهبة أورسيل تصعد لمريضها على سلم الحريق
١٠ - ذو القبعة الطويلة يطارد الراهبة الى غرفة المريض
١٧ - موريس وخطيبته
٢٤ - أيلسى تخاطب أخاها رانسوم بأنها طردت خطيبها تومى
٢٥ - الطيار والتر يقع على الأرض من لكمة تومى
٢٨ - كارل يحتضن زوجة صديقه
ريشارد على نغمات الموسيقى فى غيبته
٣٤ - تيلى توقد الموقد أمام جدتها
٣٧ - تيلى تتأفف من بكاء الأطفال وبيل يحاول اسكاتهما بساعته
٤٧ - جورج يفزع الى محبوبته لتنقذه من مطارديه
٤٨ - جورج يزجر لأن هربرت يزور محبوبته

ملكات الجمال ١٩٣٠

صورة الغلاف
لملكة الجمال فى يوغوسلافيا

الرجاء ممن يطلبون أعدادا من « الجديد » أو « من شهر زاد » أن يتفضلوا بارسال ثمنها مقدما ولو طوابع بريد حتى لا يضيع الوقت في المكاتبات ، والأعداد دائما موجودة من المجلتين من أول عدد الى الآن مع العلم بأن ثمن العدد من كلتا المجلتين عشرة مليات فى الداخل وخمسة بنسات في الخارج

الأستاذ مرسى بين خليلة وحليلة

كلتاهما تتنازعه دون الأخرى

« الموقف الأول »

مرسى افندى يتحدث عن نفسه

كان صالح بك كغيره من أبناء الذوات يقنع من المال بما ورثه عن أبويه ولا عمل له يقضى به أوقات فراغه غير اللهو والمرح واقتناء الجياد الصافنات

وكانت له زوجة تنحدر من أشرف الاسرات وكانت آية في الجمال كما هي غاية في الأدب والكمال

ولقد كانت الحياة الزوجية بينهما على أتم وفاق غير أن الحال لم تلبث أن تبدلت اذ سعى بعض رفاق السوء فى أن يعرقلوه بحبائل راقصة لعوب تتلاعب بقلوب الرجال كما تتلاعب الصبيان بالأكر

ولقد عرفته صدفة فى بعض أمكنة اللهو وهو في بدء غوايته فأنس لصحبتى وارتاح لعشرتى وكان ينظر الى بغير العين التى ينظر بها الى بطانته ومحاسيبه

ولقد أتيح لى من وراء هذه المعرفة غنم أى غنم اذ كان لى منه مورد لاينضب معينه

وكثيرا ماكان يحدثنى بأن خليلته باتت تعشق مجلسى على السماع وأنها تود أن تتعرف الى ولكنى كنت أرجىء الأمر لفرصة أخرى

ويوما رأيته متجهما عابس الوجه فسألته ماخطبه. فأجابنى بأن خليلته غاضبة عليه وهو يود أن أزورها معه حتى يكون وجودى بينهما لأول مرة شفيعا لديها فلا تستقبله بتلك الشتائم والمعاتبات التى تسبق كل صلح فى أغلب الأوقات

رأيتها كسواها من النساء العموميات ولم تزدنى معرفتى بها علما بشىء جديد من خصال مثيلاتها اذ كن جميعا صورة واحدة طبق الأصل

وأول ماأنكرت عليها تلك الطريقة العقيمة التى يتخذنها ذريعة لابتزاز المال من العشيق عقيب كل خصام أو وصل بعد هجر

فقد دخل الغلام وجعل يهمس فى أذنها بعض كلمات فلم تلبث أن اربد وجهها وصاحت به قائلة :

ـ قول لها تروح دلوقت وترجع وقت تانى . فأجابها الخادم :

ـ قلت لها كده وقالت أنا ماانتقلشى الاما آخد حسابى

فبدأ صالح بك يهتم للامر وهو يسائلها ما الخبر، وهى لاتجيبه الا بكلمة : مافيش حاجه . وأخيرا وقد زاد إلحاحه قالت له : أنا قلت للمره الخياطه ميت مره ماتطلبش منى فلوس قدام صديقى صالح بيه لأن دى حاجات نعملها مع العمد والجماعة الأغراب ودى جايه دلوقت تطالبنى بسبعه جنيه . ثم التفتت الى الخادم وقالت له بغضب : روح ياواد قول لها مفيش فلوس

ولكن البك حسم الاشكال مراعاة لصفو المجلس ونقد الخادم بهذا القدر

ولم تمض على ذلك هنيهة حتى قدم الخادم ينبئنى عن زيارة الصائغ . وبعد غضب وانتهار وتذمر وتبرم أنتهى

الأمر كما انتهى الأول وخرج الخـادم يحمل عشرة جنيهات للصائغ أيضا

وهكذا البدال ، والقصاب ، حتى الصيدلى والطبيب. كلها ديون وهمية بدعوى أنها استدانتها فى الأربعة الأيام التى قضياها متخاصمين

ولم تمض ثلاثة أيام على اندماجى في هـذه الزمرة حتى رأيتنى محبا مفتونا بهذه العشيقة وخلتها تعانى من حبى اضعاف ما أعانيه لدرجة أن عرفت أن صديقها قد شعر بهذه العاطفة نحوى فأنكر عليها ذلك

وكنت قد ملأت مجلسهما أنسا ومرحا خلال الأيام الماضية فحاولت مرة أن أكون على علم بمكانتى من نفسيهما فانقطعت عن زيارتهما يوما وليلة فاعترتهما لغيابى وحشة أى وحشة ، وقد أحدث انقطاعى الفجائى عنهما فراغا هائلا لم يستطع هو أن يسده ولا كل اخوانه الظرفاء الذين دعاهم الى بيت خليلته حتى يسروا عنها بعض ما تلاقى من السأم والملل

ولم يكن فى استطاعة صالح بك حيال هذا الأمر الواقع الا أن يذهب فى البحث عنى حتى اذا عثر على عاد بى الى البيت كأنه ظفر بأكبر غنيمة

فتلقتنى عشيقة الصديق ببكاء وعتاب وهى تمعن فى تأنيبى على هذا الهجر الطويل - يوما وليلة - فدهشت لهذه المظاهرة الغرامية على مرأى ومسمع من خليلها الوجيه . وقد زادت دهشتى عندما رأيتها تغازلنى في علانية وتقبلنى غير مرة ثم تسألنى فى حرارة وتوسل أن أبادلها هذه القبلات . فكنت أذوب خجلا بينما أرى صالح بك وأصدقاءه يغربون فى الضحك ويشجعوننى على الاقدام .

عند ذلك أدركت أن لابد أن يكون في الأمر سر والا فلماذا تطور شعور هذا المحب الغيور وهو الذى كان ينقبض صدره كلما رآنى أنظر اليها نظرة بريئة

غير أنه لم تمض برهة حتى بادلتها هذه الغراميات بجرأة وتهور غير مبال بمن حولى ، ودام هذا الحال بضعة أيام

ولقد أتيح لى أن تحينت فرصة [illegible] صالح بك وزوجتها خلسة فرأيتها جد مفتونة [illegible] أصبحت

لاتحتمل بعادى لحظة

فكدت أصدق ذلك بل صدقت . ولكن الذى كان يريبنى منها هو ، كيف انها كانت تظهر بهذا المظهر أمام عشيقها وأصحابه فى حرية وصراحة .

فسألتها عن سر ذلك فمضت تقول

— لقد أحببتك من أول نظرة بل قل انى أحببتك على السماع ولكن نظراتى اليك وشدة شغفى بك لم تكن لتخفى على (صالح) كما ان الرقباء والواشين كانوا من الزمرة يوغرون صدره علينا حتى أثاروا كوامن غيظه ولكننى استطعت أن أخدعه بل أخدعهم جميعا وذلك فى الليلة التى انقطعت عنا فيها

قلت : وكيف كان ذلك ؟ قالت :

— لقد سألته فى هـذه الليلة : ألم تلاحظ شيئا فى تصرفات صديقنا مرسى افندى . قال : ألاحظ انه بات مغرما بك . فقلت : وقد زين له الغرور اننى بت مدلهة بحبه واننى لاصبر لى على فراقه . . . فقال صديقى صالح : نعم لاحظت عليه ذلك وقد كان بودى أن أزجره فى أدب وتلميح . فأجبته لاداعية لأن تكدر عليه صفو أحلامه وبجب أن نجعله يتصور من الوهم حقيقة ولاضير علينا فى ذلك ثم يكون لنا من تمثيل هـذه الرواية منظر هزلى يسرى عنا الهم فأنا أمثل معه أمامكم دور المحبة المفتونة على مرأى منكم جميعا حتى نرى مايكون من أمره

صرحت لى (سنيه) بهذا التصريح القريب فدهشت لهذه الحيلة التى خدعتهم بها جميعا حتى بتنا تحت ستار هـذه الحيلة حسب ظنهم نغنم صفو الأوقات فى غزل ومداعبات على مرأى منهم ومسمع وهم يحسبون أنفسهم مقبلين على رواية هزلية لاعلى حقيقة ملموسة

ولم تلبث الأيام الا وقد تكشفت لهم جميعا عن الحقيقة المرة اذ أدركوا أن ما كانوا يتصورونه تمثيلا للهزء والسخرية لم يكن سوى غرام مجسم وقد كادت تخدعهم بينما هى توهمهم بأننى أنا المخدوع

أما وقد أدرك هذه الحقيقة فلم يسعه الا أن يقلب لى ظهر المجن فعمد فى ليلة وقد غلبه السكر على أمره الى أن يوسع في تأنيبى فكلت له الصاع صاعين بينما كانت

ى تشجعنى على ذلك . ولقد تطورت الحال لدرجة أن قال لى فى غير احتشام :

ــ اتفضل يا افندى اخرج من بيتى . فأجابته على الفور

ــ ده مش بيتك دا بيتى أنا وانت لازم تخرج ومرسى افندى هذا صاحب البيت والآمر الناهى فيه

فترقرقت الدموع فى عينى المسكين وتناول طربوشه وهم أن يخرج ولكن الآن وقد أصبحت الفائز المنتصر أردت أن أعفو عنه عفو القادر فناديته وهو يتقدم نحو الباب أقول له :

ـ تعال ياصالح بيه يستحيل انك تخرج اتفضل اقعد وأنا أخرج (بأمر نفسى) لا بأمرك . وهكذا خرجت موفور الكرامة

وقبل أن أغادر المكان رأيتها تودعنى بنظرة ثم ارتمت على المقعد وأجهشت بالبكاء

وبينما أنا أسير فى الطريق رأيت جماعة من الشبان الذين لاخلاق لهم يتحرشون بسيده جميلة فى ثياب بلديه (برقع وملايه لف) غير أن الحلى من الماس وخالص الجوهر كانت تدل على أنها متنكرة فى هده الثياب فأقصيتهم عنها وقد ساعدنى على ذلك رجل البوليس وبعض الناس . فودعتنى شاكرة وانصرفت فى سبيلها ثم استقلت عربة بعد أن التفتت الى ورائها تلقى على بنظرة كأنها تحيينى أو تشجعنى على اللحاق بها

فلم يسعنى سوى أن أستقل عربة أخرى وأوعزت الى السائق بأن يتبع عربتها

ووصلت عربتها الى قرب المنيره وعندها تنحيت عنها ووقفت برهة وعندها أدركت انها تريد أن أقابلها . فصرفت السائق وتقدمت نحوها أمد اليها يدى مصافحا فترددت بادىء بدء ولكن مالبثت أن مدت الى يدا كخالص اللجين ثم ضغطت على يدى وقد خيل الى من عينيها أنها تبتسم . فسألتها عن علة وقوفها فى هذا المكان فأجابتنى بأن امرأة من الساقطات اغتصبت منها زوجها فجاءت لتبحث عن هذه المرأة حتى تسترد منها مااغتصبت ولكنها لم تستطع الى ذلك سبيلا .

فسألتها عن اسم تلك المرأة وعن اسم بعلها فقالت أما الأولى فلا أعرف اسمها وأما الثانى فلا أستطيع الجهر به . قلت : اذن ألا تشرفينى بحسن ظنك فتأمرى بأية خدمة أقوم بها فى سبيل راحتك وجلب السعادة اليك . قالت ربما كان ذلك فى المستقبل أما الآن فلا..

قلت اذا كنت قد أفسحت أمامى دائرة الأمل ألا تسمحين لى بأن أسير فى أثرك بعيدا حتى أعرف مثواك وعندها يكون لدى مجال للقيام بهذه المهمة المنتظرة فأشارت بأصبعها نحو بيت قائم وسط بستان ثم قالت : هذا بيتى. قلت لعله بيت الزوجية قالت : بل هو بيت أبى وقد هجرت بيت زوجى منذ شهرين بعد أن أصبحت السعادة فيه عفاء دارساً أو أثراً بعد عين

ومضت على خمسة أيام كنت فى خلالها لا أنفك عن المرور بهذا البيت ولكنى لم أحظ منها بنظرة . فأدركت انى متعلق بأهداب الخيال فتغاضيت عنها وقد حن ... الغرام القديم الى العشيق الأول فذهبت أنشدها بعد أن علمت أن صديقها صالح بك قد أقصى عن البيت على أثر خروجى

ووقفت أمام الدار مترددا ثم مالبثت أن أبصرت الخادم تحمله هذه الكلمة :

أتسمحون لصب فى زيارتكم
فعندكم رغبات السمع والبصر
لايقرب السوء ان طال الجلوس به
عف الحديث ولكن فاسق النظر

وعاد الخادم يستحثنى الى الذهاب اليها

وقد ألفيتها جالسة حزينة وكان عتاب طويل ومضينا نتجاذب أطراف الحديث وقد فطنت من مظهرها بأنها باتت فى حالة سيئة لهجر صاحبها الذى كان يغمرها بالذهب

واننا لكذلك واذا بالخادم مقبل نحونا وهو يكاد يطير من الفرح ثم قال لسيدته

ـ بشراك ياسيدتى فان صالح بك بالباب ويريد أن يدخل

ـ وهل علم أن مرسى افندى معنا الآن ؟

ـ لقد كان يتبع أثره وقد قال لى انى أريد أن أكون فى حضرتهما لحظة اذا أذن لى مرسى افندى

فقلت وقد سمعت هذه العبارة : قل له أن يدخل أما أنا فسأنصرف . اذ لم يبق لى محل من الاعراب وقالت سنيه :

ـ قل له انى لا أريد أن أراه ودفنى . . .

فتردد الخادم ثم قال ولكن أيرضيك ياسيدتى أن نصير الى الحالة التى وصلنا اليها الآن . فقالت : دفنى لا أريد أن أسمع شيئا . قل ذلك ودعه ينصرف

فصدع الخادم بالأمر وانصرف . ثم أقبلت على تحدثنى فقالت :

ـ انى الآن لا أملك درهما ولا أجد ما أتبلغ به

فاسرعت قائلا : ولا أنا أيضا

فابتسمت ابتسامة الحزن ثم مضت تقول : ولقد كانت الحال التى أعانيها تحتم على أن أخف الى لقائه فأنال فى هذه اللحظة لا أقل من مائة جنيه ولكنى مللت سماجة أولئك الشبان المتغطرسين . ولقد قضيت زهرة عمرى كأداة لجلب النعيم الى عشاق الأغنياء بينما أنا لا أحس بهذه السعادة وقد آن لى الآن أن أقضى لحظة قصيرة لنعيم نفسى فهل تنكر على ذلك . فأ كبرت منها هذا الشعور الغريب وخصوصا عندما سمعتها تقول للخادم الذى عاد من مأموريته في اقصاء العشيق الغنى

اسمع ياعبده خش جوه فى الكرار تلاقى (زنبيل) كبير ، نقزايز بيره ووسكى وكونياك فارغين خدهم وبيعهم فى السوق وهات لنا بتمنهم قزازتين زبيب وعلبتين سجاير وشوية مزه

فانصرف الخادم وعندها نظرت الى وهى تقول : أنا عندى جلسة زى دى مع الفقر اللى احنا فيه احسن من صاحبنا ومعاه مال قارون

وفى غضون الحديث أرادت أن تستدرجنى على أن اقطع معها عهدا بالصداقة الدائمة على أن تهجر صاحبها هجرا أبديا فصحت وقد ارتعدت فرائصى لهذا التصريح

ـ ماذا تقولين ياسيدتى اتريدين أن أقيم معك لصديق أو خليل وأنا خالى الوفاض وأنت كذلك حتى اذا احتجت للمال ذهبت تطلبينه من عشاقك الأغنياء بعد أن تتركينى على (الرف) لتعودى الى عند الحاجة . لا ياسيدتى ، انى لا استطيع أن أعيش في جو البغاء واظنك قد رأيت من قناعتى فى مجلسك بالنظر مايؤيد لك أنى لست طلبتك . وفوق ذلك فلا تغرنك منى هذه الظواهر الخلابة فما أنا محب ولا انا عاشق فانى كالطائر الذى لا يستقر على غصن الا ليتعلق بغصن آخر أو كالنحلة لا تهبط على زهرة الا لتنتقل الى أخرى أو على حد قول الشاعر

أرى ذا فاعشقه وأبصر غيره
فأترك ذا ثم استبد بذا عشقا
ثمانون لى في كل يوم أحبهم
وما فى فؤادى واحد منهم يبقى

ودخل الخادم يحمل الطعام والشراب ورأيت العشيق الغنى يدخل على أثره بغير أستئذان مطأطىء الرأس يمشى على استحياء

فقمت لاستقباله وبالغت في الترحيب به ثم تنحيت له عن مكانى فلم يستطيع أن ينطق بكلمة شكر غير البكاء

ومضت ساعة ثم قمت مودعا صديقى على وعد ا ليد بان افسح له الطريق خصوصا واننى مقبل على سعادة حقيقية اسعد بها من وراء غرام شريف

فودعنى الرجل أطيب وداع وتمنى لى أن أجزل الخير فى موقفى المقبل فانصرفت الى حيث انشد الضالة الثانية فى حى المنيرة

قريبا تصدر جريدة الوادى المصرى

بطولة الراهبة..

تستهدف لخطر الموت لتنقذ حياة مريضها ..

فى مدينة لانسميا ، كان رجل من الأغنياء يعيش عيشة العزلة والانفراد . وكان من الرخاء بحيث استطاع أن يسكن فى الدور الخامس ، من منزل فخم البناء ،صنعت أسواره من الأعمدة الحديدية وزينت جدرانه بالمرمر الجميل .

وكان يكفى اذا أرادتناول طعامه، أوشاء استحضار سيارته أو استدعاء خادمه - أن يضغطعلى زر كهربائى لتقضى حاجاته وتجاب مطالبه . وقد جهز البيت الذى يسكنه بمصعد سريع لا يشعر معه بشىء من التعب فى النزول أو الصعود . أما مسكنه ، فقدزينه بكل ماتتمنى العين رؤيته : فمن كتب مجلدة أجمل تجليد ، وسجاد شرقى دقيق الصنع ، الى صور خطتها ريشة أمهر المصورين ، الى أنواع مختلفة من العاج المصنوع وغيرها من الطرائف النفيسة .

وكان له من الأصدقاء والخلان من لايحصرهم العد ، بل يقال إن النساء كن يتنافسن فى حبه ، وان أثلاث تدلهن به ووقعن فى شركه ، كثيرات العدد .

ولكنه أصيب يوما بالحمى ، فاشتدت عليه وطأتها ، فكان تارة يسير فى غرفته كالمجنون فاقد اللب ذاهل الطرف ، وتارة أخرى ، ينام على فراشه ، ويهذى هذيانا مرعبا .

ولم يتخل عنه أصدقاؤه ، الا بعد أن أحضروا له طبيبا كان يزوره فى اليوم الواحد ثلاث مرات ، ولكن الطبيب أخذ يقلل من هذه الزيارات ثم ترك أمر العناية بتمريضه الى راهبة ، قائلا :

لست أنكر أن العلاج ضرورى في مثل هذه الحالة . ولكن المراقبة الدائمة تتطلب وجود راهبة تسهر على راحة المريض . وخير من اطمئن اليهن من الراهبات هى الراهبة « أورسيل »

وهكذا بدأت تقوم بشأن المريض راهبة سمحة الوجه ، حاذقة لاتقصر في تنفيذ شىء من نصائح الطبيب . ولم تكن هذه الراهبة تنتظر أجرا ، بل كان خير جزاء ترجوه أن يتبرع المريض ببعض ماله الى الدير الذى تسكنه فيوزع هذا المال على الفقراء .

وظل المريض أياما لايشعر بوجود هذه الراهبة الكريمة ، واذا كانت غيبوبة الحمى قد انتقلت به الى حالة لا إدراك معها ولا شعور ، ثم بدأ يرى الغطاء الأبيض الذى يكسو رأسها وإن كانت هذه الرؤية ، أشبه برؤية الحالم للأشباح والصور .

وأخيرا عاد اليه شىء من الصحو واليقظة ، فكان يفتح عينيه فتبصران فتاة حسناء الوجه تسير فى غرفته صامتة بطيئة الخطى ، ولكنه كان من الضعف والاعياء بحيث يعجز عن محادثتها ويسألها : من هى ؟

وعلى أن اليأس من الحياة قد تملكه ، فانه كان يشعر بحرارة جسم هذه الممرضة حين تناوله جرعة الدواء ، وحين تلمس يدها جسمه ، فيعود اليه رجاؤه ثم كان ينظر اليها وهى جالسة بقرب النافذة ، والشمس ترسل اليها أشعتها ، وقد أخذت حبات سبحتها الغليظة تمر بين أصابعها ، فيبعث ذلك فى نفسه الراحة والطمأنينة .

ورأت الراهبة أن المريض استعاد بعض عافيته

فنقلت سريره بجانب النافذة بعد استشارة الطبيب، حتى لايحرم رؤية الشمس وحرارتها . ولكن هذا التعبير قد أثار فى نفسه الكآبة، إذ كان يلقى بنظراته الى الطريق فيحزنه أنه طريح فراشه، لايستطيع مشاركة المارة فى فرحهم ونشاطهم، وان كان، مع هذا، يجد تسليته في أن يعبث بأصابعه ببعض بطاقات للزوار كانت ملقاة فوق منضدة صغيرة .

وحضر الطبيب ذات يوم، فبعد أن فحص مريضه قال للراهبة : اعلمى أنه لا أثر للداء فى جسم هذا المريض ولكن الكآبة وحدها هى منشأ سقمه، فهو فى حاجة الى التسلية والتفريج عن النفس وسأبعث اليك بدواء مع خادمى، فعليك أن تناوليه منه جرعة فى كل عشرين دقيقة .

ولم تمض فترة طويلة، على خروج الطبيب، حتى دق خادمه الجرس، فرأت الراهبة «أورسيل» أن تخرج لتتناول الدواء من الخادم، حتى لا تزعج المريض بحركتها فلما أخذت الدواء من الخادم، وأرادت الرجوع، هب الهواء على أثر الحركة التى أحدثها نزول المصعد، فأوصد باب المريض.. فجزعت الراهبة ووقفت حائرة لا تدرى كيف تفتحه..

ولكنها لم تلبث فى حيرتها طويلا، فقد مر برأسها هذا الخاطر : وهو أن تنزل بالمصعد الى حيث يسكن بواب البيت، فتستعين به على فتح الباب. ولكن ما كان أشد حرجها حين علمت من امرأة البواب أن زوجها لم يعد من صلاته فى الكنيسة، وأنه هو الذى يحمل معه مفاتيح الأبواب.

فقالت الأخت أورسيل : ولكن ما العمل ؟ وأنا لابد لى من أن أعطى المريض جرعة من هذا الدواء بعد عشر دقائق ؟ فهل لك أن تشيرى على برأى ؟. ثم تأوهت قائلة : مسكين هذا المريض ! فانى أخشى عليه التلف، ان تأخر موعد الدواء..

فأجابتها امرأة البواب بقولها : الأمر هين أيتها الأخت. فما عليك الا أن تضاعفى مقدار الدواء فى الجرعة الآتية..

قالت : لاسبيل الى ذلك، فتأخير الدواء ومضاعفته كلاهما ضار مهلك..

وكان الوقت يمر سراعا، ولمحت زوجة البواب علائم الجزع مرتسمة على وجه الراهبة، فقالت لها : اطمئنى ياأخت. فقد عرضت لى الآن فكرة تنقذك من هذه الحيرة. وهى أن تصعدى على سلم الحريق. فان درجاته قريبة من نافذة غرفة المريض. ولا بأس اذا وصلت ازاء الغرفة فى أن تضعى قدمك على حافة النافذة فاذا بك في غرفة مريضك

قالت : انى أخاف عليه دهشة المفاجأة...

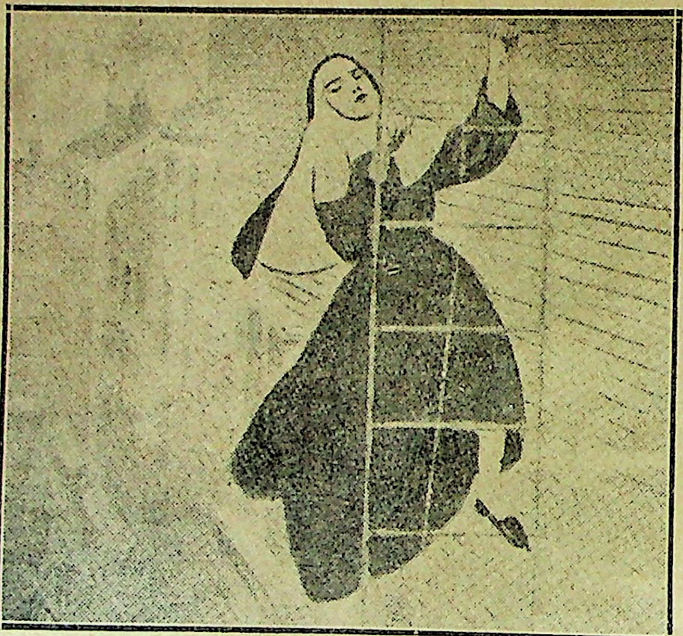

الراهبة «أورسيل» تواصل صعودها وقد مزقت درجات السلم حذاءها المصنوع من القماش

ولكن لاحيلة لى... فأرينى طريق هذا السلم

ثم سارتا في قبو مظلم، حتى بلغتا فناء ضيقا تبتدىء عنده السلالم الخارجية التى لم تصنع الا ليصعد الرجال عليها اذا شب في البيت حريق فنظرت الراهبة فراعها ارتفاع هذه السلالم وكثرة درجاتها وخيل اليها على الرغم من التصاقها بالحائط، أنها تذهب فى الجو غير مستندة الى بناء. ولكنها تذكرت أنه لم يبق على موعد الدواء الا دقائق، وأن مريضها هالك إن هى لم تبادر الى اسعافه فشجعها

ذلك على الصعود غير مبالية بما تستهدف له من أخطار

وكان زوجة البواب ، أدركت مايجول فى نفسها ، فقالت تشجعها : اصعدى على بركة الله أيتها الأخت وخذى هذا السلم . فهو ينتهى الى الدور الخامس ، ويمر بك أمام غرفة المريض ، وهى رقم ٤٢ . ثم زادت على ذلك قولها لو لم أكن بدينة الجسم لتبعتك . ولكن وأأسفاه !!

ووضعت الراهبة دورسيل زجاجة الدواء في جيبها وقدمها الناعمة على درج السلم ، وهى من الحديد الصلب ثم أخذت في الصعود . فلما حاذت الدور الأول ، ألقت نظرة على الطريق ، فرأتها مقفرة خالية الا من غلامين صغيرين .

وكان هذان الغلامان منصرفين الى اللعب ، فبدرت منهما التفاتة اليها فصاحا قائلين :

ياللعجب! هذه راهبة تصعد سلم الحريق . . .

ونبه صياحهما سكان الحى ، فأسرع بعضهم إلى النوافذ مصوبين أنظارهم الى دورسيل

وفيما هى كذلك سقطت عليها حصاة من الحائط فأدمت أنفها ثم شعرت بالاعياء وشعرت بأن حذاءها المصنوع من القماش ، يتمزق من مس الحديد ، ولكنها تجلدت ومضت فى صعودها ، بخطى بطيئه . .

ويقال ، ان المرء فى صعوده المرتفعات ، تتزاحم على مخيلته الأشباح والصور المرعبة وهذا ما حدث للراهبة دورسيل ، فقد تمثلت لعينيها صورة رجل ينظر من مكان شاهق الى هاوية عميقة فشعر من ذلك بدوار فى رأسه

فمن أين جاءتها صورة هذا الرجل ؟ لقد عادت بها الذاكرة فى هذه اللحظة الى كتاب كانت قرأته قبل دخولها الدير ، وعثرت فيه بقصة ذلك الرجل ، ولكن تجديد هذه الذكرى جعل الرعب يتسرب الى قلبها ، ثم شعرت بتوبيخ ضميرها ، وقالت تناجى نفسها : كيف يكون لها وهى الراهبة التى وقفت حياتها على العبادة والتقوى أن تجعل للخوف الى قلبها سبيلا ؟

وحاولت أن تطرد هذه الهواجس فراحت تدعو الله أن يذهب عنها وساوس الشيطان ، وألا تتحطم زجاجة الدواء حتى تصل الى المريض سليمة ، فيجرع منها مافيه شفاء له .

ثم اجتازت الدورين الأول والثانى دون أن تلتقى عيناها بأحد من السكان ، فلما اقتربت من الدور الرابع ، كان الهواء يحمل لها أصوات التشجيع من الواقفين على جانبى الطريق فتصل اليها هذه الأصوات خافتة ضئيلة .

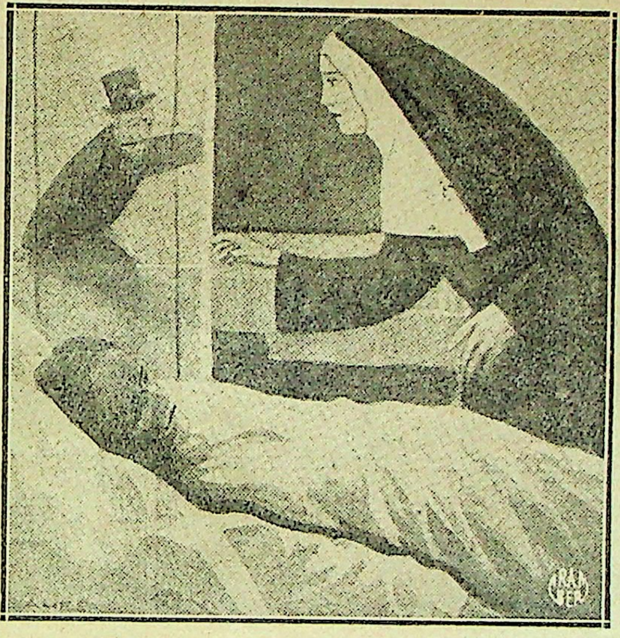

الرجل ذو القبعة الطويلة ، يطارد الراهبة ، بعد دخولها الى غرفة المريض .

وحينما جازت الدور الرابع وبدأت تتجاوزه الى الدور الأخير ، وهى تظن أنها لاتجد عينا ترقبها ، اذا بالباب الداخلى لاحدى الغرف يفتح فيدخل منه ، رجل حسن الهندام والملبس يضع على رأسه قبعة عالية . فلما أبصر خيالها من زجاج النافذة ، وقف فى مكانه واجما ، يكاد الدم يجمد فى عروقه من شدة الخوف

وعلى أن الراهبة « دورسيل » استجمعت قواها لتجتاز مابقى من درجات السلم ، فان لابس القبعة صرخ صرخة شديدة دوت فى أرجاء الغرفة ، وأخذ يعدو فيها كما يعدو الكلب خلف فريسته .

ومضت الراهبة فى الصعود وهى تقول : مسكين لطف الله به ، انه مجنون . .

ولكنها لم ترتق بضع درجات من السلم ، حتى

بدرت منها التفاتة الى أسفل ، فادهشتها رؤية الرجل وهو يقتفى أثرها . غير أنها ضاعفت من خطاها ، وقد شدد من عزيمتها أن غرفة المريض أصبحت غير بعيدة .

ثم طرقت أذنيها أصوات عديدة كانت تخرج من أفواه الجمهور الذى احتشد فى الطريق وعلى سطوح المنازل لرؤية هذه المطاردة ، وتبينت من أصوات الجمهور التى كان يصحبها نباح الكلاب ومواء القطط، هذه الكلمات : أين ؟ ماهذا المنظر العجيب ؟ ولماذا يطارد الرجل هذه الراهبة ؟

وكانت الراهبة دورسيل قد بلغت النافذة المفتوحة التى أقيم بجانبها سرير المريض . ولم يبق أمامها الا أن تخطو الخطوة الأخيرة ، وأن تثب من السلم الى داخل الغرفة . وقد ترددت بادىء الأمر ، وأثار فى نفسها الخوف ، أن شاهدت عمق ما بينها وبين الأرض ؛ ولكنها أقدمت ، فاذا هى داخل غرفة مريضها ..

وأغلقت « دروسيل » زجاج النافذة وأخذت تمشى على مهل حتى لا تزعج المريض ، وبينما هى تهم بتقديم الدواء ، رأت شبح لابس القبعة الطويلة خلف النافذة فأشارت اليه بيدها : ألا يحدث ضوضاء . ثم ناولت المريض جرعة الدواء ، فما أن تذوقها حتى شعر بالقوة تعود اليه .

وبعد أن هدأ برهة قال لها وعلائم الانتعاش بادية على محياه : إنك أنقذت حياتى أيتها الأخت بارك الله فيك

ومضت الراهبة الليل بجانب سرير المريض وأصابعها تعبث بحبات سبحتها . ولم يكن يقطع عليها هدوء الليل وصمته ، الا ضحكات كان يرسلها المريض فى أثناء نومه وهى ضحكات كانت تبعث الارتياح فى نفسها ، إذ تراها علامة على قرب الشفاء .

لاحظ أن « الجديد » هى
المجلة التى تستطيع أن تتركها
فى يد حرمك وأولادك وأنت
آمن مطمئن

الشريدة

للاديب نقولا شكرى

فى الخريف الماضى — ولا أدرى فى أية ليلة انطلقت بى قدماى الى ذلك الطريق الذى يمتد وسط المدينة وينتهى فى اقصى الضاحية .

كنت أسير بمفردى لايصحبنى فى مسيرى غير ذلك الخيال المتعلق بأهداب كل أثر للجمال فى الطبيعة على انه لم تكن ثمت حياه بين صفين من الاشجار قدتساقطت اوراقها الجافة تساقط الشعرات البيض من رأس العجوز .

وكنت كما انا فى حالة لاأستطيع معها ان اقاوم تأثير الطبيعة الآفلة بمظهر حياة أو أمل يوازن بين مشيها ورضائى حتى تلك الاوراق التى كانت الاشجار تسقطها لم تنم عن أمل الطبيعة فى التجدد .

ووهب الليل الشارع المقفر ظلاله الحزينة . ولم تستطع قطع السحب البيضاء المبددة على صفحة السماء أن تزيد فى نور المصابيح الضئيل .

وجعلت اجتاز الطريق الذى قل فيه المارة مفكرا .

لم أكد ابلغ مدى ماتطيقه قدماى من المشى فى ذلك الطريق الذى كانت تهمس أوراقه الجافة همسات يأس خفية حتى احتكت بى — ولم أكن منتبها — فتاة من الطبقة الدنيا سمراء قد افسد البؤس خلقتها . من يرها يقل انها جاوزت الثلاثين . ولعلها لم تكن تبلغ العشرين . نحيلة . يحاول ان تستر جسدها بجلباب ازرق رفيع كثير المرق ينبو ذوق اى انسان عن النظر اليها الا رحمة . وكأنها استعارت من موات الفصل وظلمة الليل واقفار الطريق ضروبا أخرى من البؤس الصارخ ولقد احسست حين احتكت بى كأنها الى جانب الاوراق الجافة ورقة اخرى تساقطت منذرة بأفول الشمس بعده . ورقة جافة قد اسقطت من شجرة الاعمار كما يقولون .

هذه المخلوقة المشوهة حين انتبه سهوها بمرآى سألتنى أن ادلها عن اقرب طريق يكثر فيه الناس . طريق آخر لا يتجاوب فيه صوت بؤسها بهمسات الاوراق الجافة وقد ادركت انها تريد أن تسأل احسانا فى الشوارع التى لم تقفر من المارة

دللتها على اقرب طريق وجعلت افكر فى ذلك الحق المغتصب فى الحياة الدنيا . حق التعس الذى جرد من كل حظوظه قبل أن يلحق به فى العالم . حق المتطفل على موائد الحياة والمتطفل انسان بلا حظوظ .

لعله ايضا بلا حق فى الحياة .

ولكن الطبيعة التى عودتنا الا نبلل شفاهنا بكأس الا لكى نغمر اطوادا من الهموم تأبى الا أن تجمع الشوك بالزهر ، والحشرة بأشهى الثمر . ولا تخلى الحسن من معول الدهر ولا تترك العمر الغض من حادثات تفنيه .

رسخت فى ذهنى صورة الفتاة رسوخ الأفكار السوداء فلما ان عدت الى المدينة وكان الليل قد ارخى أهداب تلك السماء التى يمتزج فيها الاشراق بالكآبة فى الخريف وبرودة الجو . دخلت مقهى صغيرا على مقربة من الشاطىء لكى استريح قليلا واخترت مجلسى خلف الزجاج الذى كانت تصل اليه رشاشات الامواج المتدفقة .

وطلبت فنجانا من الشاي .

وكانت النجوم تتألق كأحجار الماس الكبيرة فى سماء بحرية صافية . والريح المندفع من البحر يهز الابواب والنوافذ .

ولم يكن قد بقى فى المقهى اثناء ذلك الوقت المتأخر من الليل غير فئة قليلة من الفلاحين الغرباء عن المدينة ينتظرون ان تأويهم حجرات الفنادق وبعض من لاتبعة عليهم ولا حرج من عامه الشعب

وبينما كنت اتناول الشاى واتنفس انفاسا طويلة من سيجارتى فى صمت المقهى الصغير وسكونه .

شخصت الى الرصيف الذى كانت تتدفق عليه الامواج فى عنف فلاح لى شبح الفتاة الشريدة التى صادفتها فى طريق الاوراق الجافة .

ابصرتها على الرغم من الظلام المخيم على الشاطىء فى اسمالها الزرقاء تمشى على كثب من الرصيف .

وكانت الريح تدفعها بغلظة طاغية يطرد مخلوقا ضعيفا من امامه، وكأن المسكينة حسبت فى ذهول شقائها ان الليلة ساكنة والبحر هادىء حتى يتاح لها النوم تحت الطوار .

غير أنها كانت ليلة عاصفة اشتد فيها هياج البحر وتدفقت أمواجه .

ولم يكن ثمت فارق بين طريق الأوراق الجافة الذى صادفتنى فيه وسبيلها المغمور بالماء على الشاطىء .

وخيل الى كأن الليل قد وهبها حظا من ظلمته وكان الأشجار فى الخريف قد كستها بثوب من أوراقها الجافة

كان كل ما حولها ينتفض تحت تأثير الهواء البارد ورشاش الماء الذى كان يلفها من البحر وبدا شبحها فى الظلام كأنه نذير شؤم أرسله القدر .

وظلت هذه الورقة الجافة تتعثر فى الطريق ترجو ملاذا .

وكنت أتبعها بنظرى وهى تغيب فى ظلمة الطريق كنفس الدخان المتصاعد من سيجارتى وأسدل الليل من

خلف ذلك الشبح الهائم ستارا مظلما ترك أثره فى ذاكرتى

***

وبعد قليل تحرك سكون المقهى الصغير حين فتح بابه الزجاجى المؤدى الى الطريق ودخل شيخ من العامة ابيض اللحية ملتحف بعباءة سوداء ، ومن خلفه ثلاثة أشخاص شابان ورجل فى وسط العمر بجلابيب بيضاء حفاة الأقدام تنم أشكالهم عن أنهم من صيادى السمك ولم يكن قد بقى فى المقهى غير فلاح فقير كان ينعس والى جانبه رفيق له يحاول ان يطرد النوم من عينيه .

وكنت وقتئذ لا أزال أحسو حسوات بطيئة من قدح الشاى متأملا أجنحة الليل الحالكة وقد انبسطت على خضم ثائر مزبد يزخر بأموال متدفقة والنجوم الزهر تتلألأ فى ديباجة من زمرد . والريح تدوى وتهز الباب الزجاجى الذى جلست من خلفه وتحمل عباب الماء المتدفق الى الطوار .

الحارس يروح ويجىء يراقب الساحل بعين لاتنام

وكانت حسوات الشاى تشعرنى فى فضول المستمتع بما يسود الساحل من جو رطب وريح مندفعة ووابل من رشاش الأمواج لا يزال ينهمر .

حيا الشيخ ذو العباءة السوداء وقال لصاحب المقهى: هات يا معلم ابراهيم .

وأمسك كرسيا وجلس فى ركن من المقهى لايستبين المار من الشارع ولا من الداخل .

وأحاط به رفقاؤه الثلاثة وأخذوا فى الحديث .

فتقدم صاحب المقهى الى الشيخ والى رفقائه . وانحنى قليلا وقال بصوت خافت : الآن لا أستطيع أن أهيىء لكم . . . .

فقاطعه الشيخ قائلا بصوت مسموع يدل على عدم المبالاة: مالك؟ أبقى فى المقهى أحد تخشاه ؟

ونظر نحوى الشيخ ذو العباءة والى الفلاح النعسان ورفيقه وقال غير مبال : ما بالك؟ الأفندى يوشك ان ينصرف . . . .

وضحك وحياني ....

فانحنى المعلم ابراهيم على اذنه وقال : رويدك ولا تقل ذلك للزبائن .

قال أحد الشبان : الساعة واحدة الآن .

قال الثاني والتفت الى الفلاح : الساعة واحدة يا ابني وانت في حاجة الى النوم .

فانتبه الفلاح ورفيقه ونهضا متثاقلين وتمشيا الى الباب في بلادة يريدان الانصراف .

وضعف نور مصباح الغاز الذي يضيء المقهى كأنه ينبه الموجودين الى ضرورة الانصراف

وكنت ادخن غافلا عن الغرض الذي تبغيه الجماعة .

في ذلك السكون العميق الذي يسود الوجود في الهزيع الأخير من الليل احسست بقطعة بوهيمية غريبة — بأني مستمتع في مجلسي ، راغب في البقاء على قرب من البحر الثائر استمع تكسر الأمواج على الطوار وأجول بفكري في صمت ذلك الليل المخيم على خضم جائش الصمت الذي استعار رهبة الأمواج الثائرة .

وما لبثت ان رأيت المعلم ابراهيم قد وضع الحواجز الخشبية على زجاج الباب الذي يصل المقهى بالطريق .

وجاء وحمل حينئذ الشاى من امامي .

وأدركت من هذه الحركة التي تبدو فيها أنه يؤذنني باغلاق أبواب المقهى .

ولكني حين أدركت ذلك رأيت المعلم ابراهيم قد صعد على كرسي وأنزل مصباح الغاز ووضعه في ركن المقهى الى جانب الجماعة . وتناول من خلف « النصبة » في شيء من الحذر « جوزة » نظيفة وضعها على طاولة قريبة .

فهلل الشيخ ذو العباءة وفرك يديه .

ونهض أحد الشبان وتناول « الجوزة » بينما كان المعلم ابراهيم يضع الجمرات في « دفايه » صغيرة وأغلق باب المقهى وكان الهواء يصفر في الشارع الذي اقفر من المارة

وتناول الشاب الثاني « الدفاية » من الحاج ابراهيم الذي تولى تعمير « الجوزة »

وكنت أرقب حركة صاحب المقهى وزبائنه آخر الليل وقد أدركت الغرض من رغبتهم في رواح الفلاح ورفيقه وان ذلك المقهى الماثل المنعزل على الساحل يستحيل في الظلام الى « غرزة حشيش » ....

وكنت أعلم عن هوى الصيادين في ذلك المخدر وحوادثهم الشيء الكثير .

***

وابتدأت القصبة تنتقل من يد إلى أخرى بين الجماعة وتصاعد دخان تلك العشبة وأخذت غيومها تخيم في أمخاخ متبلدة جامدة . أمخاخ صيادي الأسماك .

قال الشيخ ذو العباءة وهو يتنفس في « الجوزة » نفسا يكاد يسري به روح العشبة في جسمه سريان الدم في العروق : توشك (عزيزة) أن تأتي .

فضحك أحد الشبان وهو يأخذ « الجوزة » من يد الشيخ وقال : عزيزة ! ما الذي تريده منها ؟

قال الشاب الثاني : لقد رأيتها تسعى على الطوار تطلب ملاذا . ولكنها لن تجد مأوى فان الأمواج ترمي بغمر من الماء حتى ليستحيل الرقاد تحت الطوار . ولابد من أن تأتي .

قال المعلم ابراهيم : كلا لقد طردتها أول من أمس لأنها مدت يدها إلى صندوق السكر ولا أسمح لها بالمبيت في المقهى مرة أخرى .

قال الشيخ ذو العباءة : حرام عليك !! فتاة مسكينة لا مأوي لها !!

قال المعلم ابراهيم وهو يتناول الجوزة : انها إذا سرقت السكر اليوم فستسرق النقود في الغد . ولأدري الباعث لك على اشفاقك نحو (عزيزة) لعلك تريد الزواج منها .

وضحك وشاركه الباقون في الضحك .

قال الشيخ ذو العباءة وددت أن تأتي لكي تأخذ نفسا

فقال المعلم ابراهيم وهو يجدد تعمير النارجيلة : حرام عليك ياريس !!

فضحك أحد الشابين وقال: لقد مرت بنا فى الليلة الماضية وكنا فى (الحجر) خلف الطوار المؤدى الى الحصن .

وكانت تبحث عن مأوى بين الاحجار فأمسك بها (ظليطه) وأرغمها على أن تأخذ أنفاساً طويلة من الجوزه فلبثت تسعل حتى أغمى عليها . فحملها (ظليطة) وغمر رأسها فى ماء البحر . فشهقت فى الماء وأشرفت على الهلاك .

قال الشاب الثانى . مما رأيت فى حياتى أغلظ ولا أفظع إنساناً من (ظليطه) أمسك بخناق أخيه أول أمس فى المركب على ظهر البحر . وكان يريد أن يقذف به فى اليم .

وجاء المعلم ابراهيم بالجوزه وقدمها للريس .

وكنت أراقب عن كثب وقد همد حس الطبيعة وسكن البحر وخوى الطريق

وكان ظلام المقهى الصغير يهب اجتماع أولئك الحشاشين خطر المؤامرة ورهبة تسكن لقطاع الطرق فى سفر .

وفى الحقيقة أن تضاؤل نور المصباح وانزواء الجماعة فى ركن من المقهى وتحادثهم همساً وجلسى على مقربة منهم كان كأنه سر لعبادة غير مباحة .

وما زال تدخين تلك العشبة — الحشيش — غير مباح غير أن عبادها لا يرون العقاب الصارم حين يلوح لهم خيال النارجيلة وقد أوجدت بينهم من روح المساواة والتشابه فى الخلق والصفات ما عجزت عنه المبادىء الانسانية

***

وارتعدت فرائص الحشاشين حين اهتز باب المقهى بيد تحاول فتحه . وقد خشوا أن يكون البوليس قد أحس بفعلتهم وأنه جاء للقبض عليهم .

وبأسرع من لمح البصر خبأ المعلم ابراهيم (الجوزه) وأخفى أثر التدخين فيها .

وتوجست إذ ذاك خيفة أن يشتبه فى اشتراكى مع الجماعه

وكان من السهل فتح الباب الذى جلست من خلفه وهو باب المقهى المؤدى الى الساحل

فلم أتردد فى فتحه وخرجت .

. . . .

واتفق أنى مررت بعد ذلك بالمقهى الصغير

وكنت لم أنس حادث تلك الليلة التى اجتمع فيها المعلم ابراهيم وحرفاؤه (زبائنه) لتدخين الحشيش

دخلت المقهى وجلست على كرسى قريب من الباب المطل على الشارع

تقدم الى المعلم ابراهيم مبتسماً وحيانى .

ورغبت فى سؤاله عما جرى فى تلك الليلة

غير أنى رأيته قد ابتدأ الكلام دون أن أسأله

قال : لو علمت بما حدث تلك الليلة

قلت : أى شىء

قال : من الممكن أن تكون قد سمعت الشيخ ذا العباءة يشير الى فتاة شريدة

قلت : نعم سمعته يذكر اسم عزيزه ولست أدرى من هى

أجاب : عقب انصرافك تقدمت أنا الى الباب المؤدى الى الشارع وفتحته بحذر وكنت أحسب أن البوليس جاء (ليكبس) المقهى

أنى حين فتحت الباب رأيت تلك الفتاة الشريدة فاستقبلها الريس وصبياه بالشتم والضرب . وكان من دأبها أن تأتي آخر الليل لكى تبيت فى المقهى

وعادوا الى حالهم الاولى

ولما كان لابد لى من الرواح تركت مفتاح المقهى مع الريس وعدت الى منزلى

أتعلم ماذا حدث؟

فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى وجدت الفتاة (عزيزة) قتيلة مشجوجة الرأس الى جانب الطوار ونقلت الى المستشفى

ويدعى الريس انها بعد ذهابى أبت البقاء فى المقهى ويؤكد أحد الشابين اللذين رأيتهما انه رآها نائمة تحت طنف المخزن القريب منا

ولا يزال التحقيق جاريا فى هذا الحادث

وكنت أستمع الى المعلم ابراهيم متذكراً صورة الفتاة الشريدة التى صادفتنى فى طريق الاوراق الميتة

وذكرت جيداً تلك الصورة التى ختمت حياتها بحادث من نوع حظها فى الحياة

قلت المعلم ابراهيم وقد جاءنى بقدح من الماء أتستطيع أن تصف لى تلك الفتاة

قال : ليس بين أهل هذا الحى من يجهل الفتاة (عزيزه) بنت سمراء ، نحيلة ، فى جلباب أزرق قديم ، تقضى سحابة النهار فى التسول وتبيت آخر الليل على الطوار أو فى هذا المقهى

وكان هذا الوصف ينطبق على الصوره الراسخة فى ذهنى

وظل الحادث لا يبالى به أحد لأن ضحيته بلا نصيب فى الحياة

غير أن القضاء توصل فى آخر الأمر الى أنها قتلت فى المقهى إثر تخدير قوى وكان قاتلها الشيخ ذو العباءة نم عليه أحد صبييه على أثر نزاع شجر بينهما

قال : ان الشيخ أرغمها على التدخين فى القصبة ثم حاول الفتك بها

ولما رأى منها الامتناع ضربها بالدقاية فشج رأسها

كذلك أثبت الكشف الطبى ، سنة الطبيعة أن تكون نهاية كل انسان الى الفناء

ولكن حياة عزيزة الشريدة افتتحت بتلك النهاية

فليس بعد الموت فناء اذا فتحت به حياة الانسان

انما الفناء الحقيقى هو البؤس

من أجل ذلك لم يبال أحد بالحادث الفاجع . لأن ضحيته كانت فانية من قبل أن تموت

تلك الشريدة التى جفتها قلوب العالمين طوال حياتها قد استطاعت أن تعوض بقلبها الحى السليم قلبا مريضا لشيخ لم يعرفها ولم تعرفه :

كذلك استطاعت أن تكون نافعة بعد الموت لمجتمع لم ينفعها فى حياتها .

فانها حين أصبحت ملك المستشفى إذ لم يعرف لها أهل ولا أقارب لم يحجم عن أن يوزع أعضاءها السليمة على الذين لم يفكروا فى توزيع أية صدقة عليها فى حياتها .

فكانت قسوة الطبيعة عليها فى حياتها توازى قسوة المستشفى من بعد الموت .

ان الذين يولدون بلا حظ فى الحياة هم الذين قسم لهم أن يعطوا من لا يعرفونهم أعضاء سليمة من أجسامهم بدل أعضاء تالفة :

ماهى الخمر ؟

وصف عدى بن الرقاع للخمر أمام أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك

قال سليمان بن عبد الملك لعدى بن الرقاع : أنشدنى قولك فى الخمر فأنشده

كميت إذا شجت وفى الكاس وردة ... لها فى عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهى دونه ... لوجه أخيها فى الأناء قطوب

فقال له سليمان : شربتها ورب الكعبة ، قال عدى : والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفى لها قد رابنى معرفتك بها فتضاحكا وأخذا فى الحديث

تجديد الحب ..

قال موريس لخطيبته « جينيت » : ما أعجب هذه مقابلة ! هل كنا نسير فى طريق واحدة ، دون أن يرى

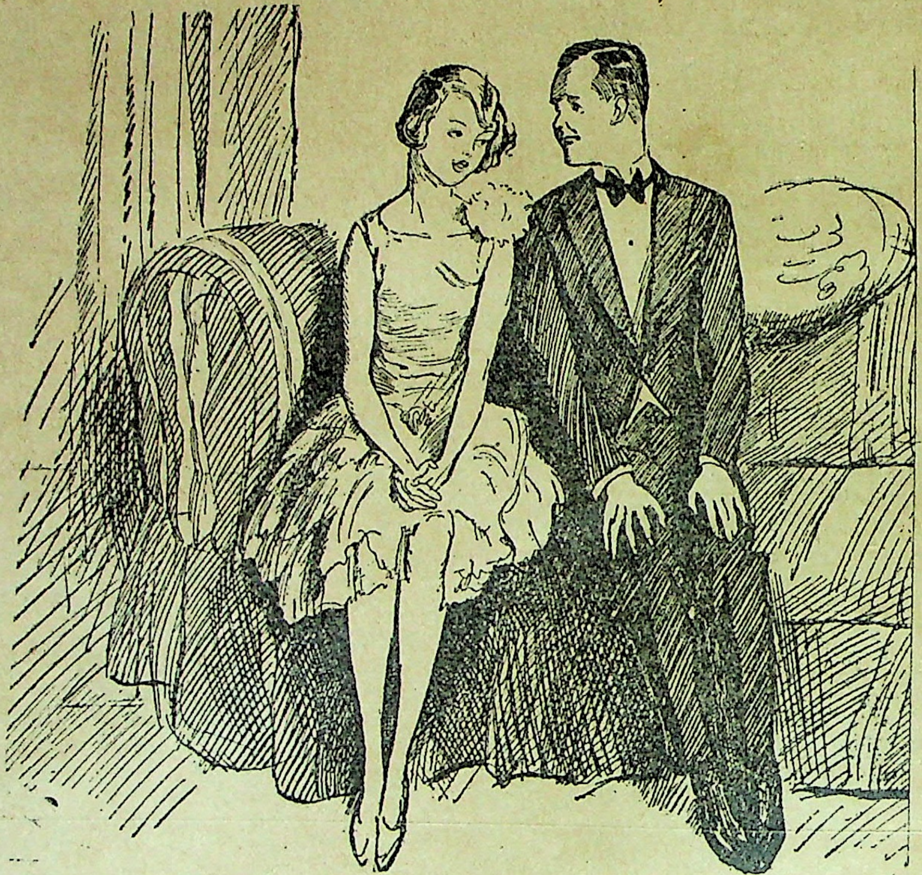

أحدنا الآخر ؟

هى — أرجو أن تسرع بفتح الباب أولا ..

هو — ولكنك جئت متأخرة !

هى — وأنت ؟ ألم تتأخر ؟ وهل كان لى مفر من انتظارك ، لو أننى جئت مبكرة ؟!

هو (داخلا المنزل) أظن أن البواب الخبيث لم يفتح النوافذ ، فى أثناء غيابى . وإلا لكان الهواء الآن متجددا

هى (تفتح النوافذ وترفع عنها الستائر) — ما أشد فساد الهواء هنا !

هو — ليس الهواء وحده هو الذى تغير بل أرى كل شىء متغيرا ..

هى (تداعبه)

هو — اننا لم نجىء هنا للتسلية والمداعبة ..

هى (ضاحكة) — انك تضحكنى بكلامك ..

هو — كلامى أنا ؟

هى — نعم . يضحكنى قولك : اننا ما جئنا للعبث

والمزاح . . (ثم تسكت قليلا) . ولكني أعتذرك . اذ يظهر لى أن نار الحب قد فترت بيننا . . .

هو — هذا ما كنت أريد أن أقوله وأظن ذلك من تأثير هذا المنزل البغيض . ثم انى أسأل نفسى : لماذا لم نتبادل القبلات كعادتنا ؟ !

هى — الامر سهل (وثم تقدم اليه خدها ولكنها تقول بعد أن يقبلها) — أوه ياعزيزى ! ليست هذه قبلة خطيب لخطيبته ، بل هى قبلة والد لابنته . .

هو — صدقت ... فاني أشعر باننا تغيرنا . فهل تشعرين أيضا بذلك . ؟

هى — نعم . . أحس بعض هذا الاحساس . وانى أعتبرك الآن صديقاً ، ولا أشعر نحوك بما تشعر به الفتاة نحو خطيبها .

هو — وانا أيضا أراك الآن كأنك سيدة من عامة السيدات . . (ثم يشتد به الغيظ فيضرب الارض باحدى قدميه . ولكنه يقترب منها قائلا) : اصغى ياجينيت : قولى « انى أحبك » وسأكرر هذه الكلمة ، لعل ذلك يذكي نار حبنا :

هى — أؤكد لك أنه لافائدة من ذكر كلمة ، حتى لو لبثنا نكررها الى الغد . . .

هو — هذا مؤلم جداً . ولكن أعيرينى سمعك قليلا فقد خطرت ببالى فكرة جميلة . هى أن نذهب فى سيارة الى غابة بولونيا ، وهناك نتحادث حديث المحبين كأننا نتقابل لأول مرة

هى — فكرة جميلة !

وهناك يجلسان طويلا ، ولكنهما لايشعران بعاطفة الحب الشديدة ، فيسأل موريس خطيبته قائلا : بماذا تشعرين الآن ياجينيت ؟

هى — أشعر بأننا صديقان لا خطيبان . .

هو — وهل عندك علاج لذلك ؟

هى — (تفكر قليلا ثم تقول) — لقد خطرت لى فى هذه اللحظة فكرة لابأس بها هى أن يرسل كلانا للآخر ، غداً ، تلغرافا يبثه فيه غرامه وحبه ، فهذه خير وسيلة على ماأرى . .

هو — ولكن لنحذر من أن تكون عباراتنا فى هذا التلغراف صريحة واضحة

هى — لك ذلك .

***

وبعد أن طافا بالغابة ، تناولا العشاء ، ثم قضيا السهرة فى حفلة راقصة وفيما هما عائدان فى السيارة ، نظر موريس الى خطيبته قائلا :

ألا زلت على رأيك فى إرسال التلغراف غداً ؟ !

هى — وأنت مارأيك ؟

ولكنه لايجيبها إلا بقبلة ترد عليها بمثلها . . .

خمسة آلاف دينار

ثمن لرقعة مكتوب بها ثمان كلمات

قالوا : أتى الحجاج بسفط قد أصيب فى بعض خزائن كسرى مقفل ، فأمر بالقفل فكسر فاذا فيه سفط آخر مقفل ، فقال الحجاج : من يشترى منى هذا السفط بما فيه فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار . فأخذه الحجاج ونظر فيه فقال : ماعسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم . ثم أنفذ البيع وعزم على المشترى أن يفتحه ويرنه مافيه ففتحه بين يديه فاذا فيه رقعة مكتوب فيها من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل

اللطمة المباركة

حدج رانسوم أخته بنظرة فاحصة ثم سأل :

أبلغك أن تونى برون سيتناول معنا العشاء الليلة ؟

فأحنت إيلسى رأسها

وعاد رانسوم يقول : وتعلمين لماذا هو قادم ؟

فأجابت : نعم يارانسوم، ولاشك أن أمى أفضت اليك بالأمر ، قيل لى أنه آت ليخطبنى الى نفسه

قالت ذلك ومضت تفكر فى الرجل الذى يريد أن يتزوج منها مع أنها ماشجعته يوما ما علي طلب يدها أو أبدت له عاطفة اهتمام وحب

والواقع أن إيلسى عرفت كيف تسهر على قلبها وعواطفها بل وكانت تفر من مواطن الهوى . حرصاً على قلبها من الضياع بين أيدى الرجال

وكأن أخاها عرف مايجول بخاطرها فغمغم يقول :

وارحمتاه لك ياأختاه ؟

فقطبت مابين حاجبيها وسألت : أتراني مقبلة على خطر داهم ، تكلم ، أحسبك تعلم عن تونى مانجهله نحن جميعاً

فضحك ليطمئنها وقال : مامن خطر هناك أوخوف

فصاحت: بل عليك أن تفضى الى أمنا بأى رأى يجول فى خاطرك ، اذا كان فيه صلاحى ونجحى

فرفع يده وقال : اطمئنى ، أتشكين فى إخلاصى واخائى

قالت : معاذ الله ، ولكن حدثنى لماذا أراك اليوم على خلاف عادتك ، أمريض أنت ؟

فأجاب : مريض ، ماعرفت المرض يوماً ما

وأحست إيلسى خوفاً يداخلها ورعبا يستولى على نفسها ، فغمغمت تقول : كأن مصيرى سيبرم اليوم ، وسيكون بئس المصير ، وإلا فما معنى هذه الوساوس والظنون التى تنتابنى وتهز نفسى هزاً

وسارت الى البلكون فسمعت دوى عجلة مقبلة

فالتفتت الى رانسوم قائلة :

أسمع دوى عجلة ، ترى من القادم علينا ؟

فاحمر وجه رانسوم وقال :

لاريب أن صديقى الطيار ، قابلته بالمدينة البارحة فعرض على أن يفرجنى على أنموذج لاختراع ، يقول عنه انه يقى الطيار شر السقوط من الجو

ووقفت العجلة أمام باب البيت الريفى ، ونزل منها شاب يتأبط صندوقا ، وما رأى رانسوم يطل عليه من البلكون حتى تهلل وجهه وهتف :

عزيزى رانسوم كارتر ؟

فخف اليه رانسوم وهو يقول : آه أراك جئت بالانموذج

وارتقى الصديقان الدرج القصير ، ووقف أمام إيلسى

وابتسم الزائر فى وجه الفتاة وقال :

هذه شقيقتك يامستر رانسوم ؟

فأحنى رانسوم رأسه

والتفت الزائر الى الحسناء يقول :

يسرنى ياسيدتى جداً أن أراك واتعرف اليك ، ولقد رأيتك قبل اليوم مراراً

ثم ضحك وقال : نعم كثيراً ما رأيت صورتك فى الصحف

قال ذلك ومد يده

فتشاغلت عن اليد الممدودة بالنظر الى الحقول الممتدة أمام بصرها ، ولكنها ردت نظرها فجأة وألقته على وجه الفتى الواقف أمامها حين وجدت يدها بين يديه يشد عليها شداً عظيما ويقول :

إن اسمى ياصديقتى الصغيرة والتر وترز

فاسترجعت يدها وأرسلت بسمة على شفتيها كأنها ترد عليه تحيته بها

وقال رانسوم : هيا ياصديقى الى المكتبة نفحص الانموذج

قال ذلك وجذبه وسار به

ووقفت إيلسى تنظر الى أصابع يدها التى ضمها الزائر ضما عنيفا

وقال والتر: إن شقيقتك ياعزيزى على قسط وافر من الجمال، تبارك الخالق!

فضحك رانسوم وقال:

دعنا من الجمال الآن وافتح صندوقك ز مافيه

وهبطت مدام كارتر الدرج فى كبر وخيلاء وخلفها كريمتها إيلسى، وكان رانسوم وتونى فى انتظارهما بالصالة أمام مائدة الطعام

وجلست الفتاة الى طعامها صامتة لاترفع بصرها الى الشاب تونى الجالس أمامها

وتونى مشغول عنها أيضا بحديثه مع مدام كارتر التى كانت تقص عليه نوادر كرمها وأخبار الريف

وفرغوا من الطعام الموحش الصامت، وكانت ليلة راكدة الريح معلقة الانفاس، إلا أن الفتاة وضعت على كتفيها منديلا كبيراً من الحرير وسارت الى البلكون وجلست فى ركن، وبعد قليل أقبل نحوها تونى وألقى عليها نظرة فاحصة وقال فى أدب وخشوع:

إيلسى! جئت الليلة لأمر لا اخالك تجهلينه فاسمحى لى أن ألقى عليك سؤالا بسيطا، أأتكلم؟

وكأنها ماسمعت حديثه وبقى طرفها عالقا بقبة السماء المرصعة بالكواكب

فسعل تونى سعلة خفيفة وقال:

هل يمكنك، أى ايلسى، أن تتعلمى كيف توفرين أسباب السعادة الى اذا ضمنا سقف واحد؟

وما طرق السؤال أذني الفتاة حتى امتلأ جوفها غيظا، لم يعجبها قدوم الفتى والقاؤه السؤال على تلك الصورة، ولعلها تذكرت فى تلك اللحظة مواقف الحب الرائعة التى قرأت عنها فى الروايات فرأت أن ماصدر من زائرهم لايتفق والاصول التى يجب أن تتبع فى أمثال تلك الظروف

كان يجب عليه أن يحييها أولا، ثم يسألها عن صحتها أو يتكلم عن الجو، لاأن ينقض عليها انقضاض الصاعقة ويطرح عليها سؤالا كله أنانية وكبرياء

ولأمر مالاتفهمه الاحواء قامت ايلسى وهبطت درج البلكون وسارت فى تماشى الحديقة تحت أنوار القمر الفضية، فعلت ذلك دون أن ترفع طرفها الى الفتى الذى وقف جامدا فى مكانه كأنه استحال تمثالا

وما هى الا لحظة حتى كان آدم وراء حواء

وقال تونى فى لهجة المستعطف المتوسل:

عجبا يا ايلسى، ماهذا الصد والجفاء، أفاتك انى ضيفكم لاأحسبنى ذكرت مايثير غضبك

فدارت الفتاة على عقبيها ورفعت أمام الشاب وجها منيرا عليه أمارات الزهو والغضب وقالت:

ماهذا الذى تقوله ياتونى، أحسبت الحب شارة يتناولها المرء من مكان ما ويحلى بها صدره وقلبه، تروم منى أن أحبك وأنا التى ماعرفت فيك الا صديقا

فطرح الشاب السيجارة من فمه وقال:

كنت أظن حبى شغل فؤادك، الا أن الأيام كفيلة بوضع الامور فى نصابها، ان أمك راضية بالزواج، وأنا بك مشغوف كلف، فتى رضيت بى بعلا، جاء الحب من طويل الاختلاط والمعاشرة، هذا ما أود أن أقوله الآن على الاقل، أما ما أبتغيه منك فكلمة تشجيع ونظرة عطف، وأنا كثير الثقة بالمستقبل

فضحكت ايلسى ضحكة رنت فى سكون الليل وقالت:
صدقت فيما قلت عن رأى أمى فى الزواج، ولكن هناك طرفا آخر يجب استشارته، وهو قلبى فأمهلنى مدة أفكر فيها وأقلب وجوه الرأى

فصاح فى سرور: هذا عين ما طلبت ورجوت، اتفقنا اذن

فقالت: على انتظار قرار القلب

أجاب: نعم، ونفسى تحدثنى أنه سينقلب نحوى ويحكم فى صالحى

وبينا كانت ايلسى فى غرفتها تستعد للنوم وأمامها وصيفتها دخل رانسوم، وقال بعد أن صرف الوصيفة:

أهنئك من صميم قلبى يااختاه،

فشبكت اهدابها الطوال وسألت: وعلام؟

قال وكأنه يريد اغاظتها:

سمعت انك وعدت تونى وعدا أثلج صدره ، وأقر عينه ، وما كنت لتمنيه بذلك لولا الحب المتبادل

فقالت فى ضجر : أطاف بك طائف من المس يارانسوم أراك اليوم تحاول إثارة غضبى ، إن كان فى تونى ماريبك فتكلم ، انه عندى كسواه من الرجال ،

ولولا الحياء لقالت له مايجول فى خاطرها ويقف على لسانها

تريد أن تقول لاخيها :

هل تونى مثال الرجولة والشرف ، انى أختك وعرضك وشقيقة نفسك فهل أنت راض بانتقالى من بيتكم الى وكره حيث أصير له روحا وجسدا

كانت تشتهى أن تقول ذلك لولا الحياء والعفاف

وتقدم رانسوم وأخذ بيد شقيقته وسار بها الى مرآة كبيرة معلقة على الجدار ثم قال :

انظرى يا ايلسى أرأيت وجها أجمل من هذا الوجه وأشار الى وجهها

فصاحت : أنت مريض ولاريب ، والا لما هذيت بألفاظ لاأفهم معناها

قالت ذلك ودفعته بيدها وأغلقت باب حجرتها وألقت جسمها على الفراش ثم نهضت وقالت : يجب أن أمضى الى أمى وأقول لها ، من العار على وعليكم أن أتزوج من رجل لم يتحرك قلبى بحبه

وفكرت مليا ثم قالت :

انهم ما أجبرونى على الزواج منه فلماذا أزعج نفسى بأشياء لم تحدث بعد

قالت ذلك وأسلمت عينيها الى الكرى

واجتهدت ألا تكلم أمها أو أخاها فى شأن تونى ، وكأن الام احترمت مشاعر كريمتها فأمسكت عن ذكر تونى الولهان

وبعد أيام ، اتفق أن وقفت ايلسى بمركبتها الفخمة أمام حانوت فرآها والتر [illegible] ، وكان يجتاز الشارع فمشى اليها وقال وهو يرفع قبعته :

آه ! هذه مس كارتر أراها للمرة الثانية

قال ذلك وتناول يدها وضغطها بشدة كما فعل فى المرة الاولى

ورفعت ايلسى نظرها كالحائرة وقالت :

آه ! من أنت ياسيدى ، لاأذكر أنى رأيتك قبل اليوم وكانت من الكاذبين

فقال الشاب : عجبا يامس كارتر ، صديق رانسوم وقد زرت منزلكم الريفى منذ أسبوعين

فأرسلت بصرها فى الفضاء كمن يسترجع ذكرى ماضية ثم أقبلت عليه بوجهها وقالت وهى تبتسم :

آه ، تذكرت ، أنت الطيار ، جئتنا وكان معك صندوق ، أليس كذلك ؟ !

فابتسم وقال : نعم ، وأنت شقيقة صاحبى وقد ذكرت له يوم الزيارة انك أجمل امرأة رأيتها فى الارض والسماء قال ذلك وضحك

ولما رأى تجهم وجهها صاح : ليت لسانى سل من حلقى قبل مقالتى تلك ، أحسبنى أغضبتك

ثم نظر الى الخادمين الجالسين فى مقعد المركبة الامامى وقال :

ان هذين التمثالين لم يسمعا قولى ولاريب

وانتشرت ابتسامته العذبة على شفتيه ثم امتدت على كل وجهه

فقالت ايلسى : كلا ماغضبت

فتهلل وجهه وقال : إن طائرتى على مقربة منى الآن فما قولك فى نقلك بها الى بيتكم الريفى

فأجابت : شكراً لك ، بل سأعود بمركبتى ، وإن شئت فامض أنت بطيارتك الى هناك

ووصلت الى البيت الريفى

فلما رآها أخوها صاح : أين كنت ، لقد ابطأت طويلا وهذا تونى فى انتظارك

فسألت : وأين تونى ؟

أجاب : فى المكتبة

قالت : إن صديقك والتر هو المسئول عن تأخيرى

فبدا الشر فى وجه رانسوم وقال : وأين قابلك ؟

أجابت أمام حانوت بالمدينة ! وسيأتى الآن على طيارته

فصاح : أهلا ومرحبا ، أرأيت صديقى وما هو عليه من همة وأقدام وصراحة

فغمغمت تقول : نعم ، وجدته مثال الشهامة والرجولة

وجاء الطيار فسحر سكان القصر الصغير برشاقته ومهارته أما تونى فأعرض بنفسه وأبدى الجفاء ، ولا غرو فقد رأى بريق السرور فى عينى إيلسى حين هبط الطيار ووقف أمامها يشرح مالاقاه فى سفرته القصيرة

وفى المساء التقى تونى بإيلسى فى البهو : فقال ما رأيتك أجمل منك اليوم ، وأكثر فرحا وسرورا

فتركته ومضت الى المكتبة وهو فى أثرها

وجلست فى ركن مظلم فسار وجلس أمامها وقال :

إن صديقك الطيار لايفهم شيئا فى فنه ، أرأيت كيف اضطرب حين مالت به الطيارة وهو يهبط بها

فقالت وكأنها لم تسمع أقواله :

كلما ذكرت انى سأتزوج منك بعد ثلاثة أشهر يخفق قلبى وتزداد وساوسى

فصاح : عجبا ! ولماذا ؟

أجابت : لا أدرى

قال . سأنسيك تلك الوساوس

فقالت . ربما تنجح

وعادت الى الاطراق والصمت

وتصورت فى تلك اللحظة وجه الطيار ونشوة حديثه وقوة يديه ، وصوته المرتفع ، وثيابه التى لاتنم عن اهتمامه بالأزياء فغمغمت تقول لنفسها :

إن والتر يمثل الرجولة ، أما هذا فيمثل الانوثة واللين لقد ظن الابله أن ثيابه الأنيقة وشعره اللامع وخاتمه الماسى تجذب قلبى ، ولكنى سأتزوج منه ، هكذا شاءت الوالدة وأنا لاأريد أن أعصى لها أمرا ، ليت حادثا يقع فيحول بينى وبين هذا العاشق البغيض

وما أتمت جملتها حتى دخل رانسوم يقول :

انتما هنا ، كنا نبحث عنكما ، ادخل ياصديقى والتر

فدخل الطيار يهز الأرض بقدميه

وألقى ابتسامته العذبة على الجالسين وسار الى طرف الحجرة وعند ذلك وقف تونى يخاطب رانسوم :

آن موعد انصرافى ، طاب مساؤكم

قال ذلك وخرج وإيلسى خلفه لتشيعه

وقال وهو فى الصالة : إيلسى أراك اليوم متعبة ، اذهبى الى فراشك

فنظرت اليه فى غضب وقالت :

هل فاتك أنى لم أعد بعد زوجتك ، وماشأنك أنت فى ساعات نومى وصحوى

فخرج العاشق مغضبا

وعادت إيلسى الى المكتبة ووقفت بالباب وقالت : طاب مساؤكما

فصاح والتر :

لقد غادرنا مستر تونى فاذا انصرفت أنت أيضا شعرت أنا وأخوك بوحشة ، هلا جلست معنا قليلا

فصاح رانسوم : والمسألة التى نبحث فيها

أجاب والتر : نرجئها قليلا

ودخلت إيلسى تقول

سأمكث معكما نصف ساعة فقط

فقال والتر فى حماس : ونحن لانطمع فى أكثر من ذلك

وجلست الفتاة ترنو الى الشابين ، وكانا يفحصان أوراقا بين أيديهما

وقالت إيلسى لنفسها

مابال قلبى يخفق قلبى سمعت صوت والتر ، قال إنى أجمل امرأة رآها فهل صدق فيما زعم ياترى ،

ورأته يخالسها النظرات فاحمر وجهها وراحت تقول لنفسها : إنه يحبنى ولا ريب ، إلا أنه يكتم هواه ، ولا أحسب الأوراق والنماذج التى يفحصها مع أخى إلا حيلة ووسيلة ليرانى ،

وبعد دقائق التفت والتر الى الفتاة وقال :

اشتهى أن تركبى معى طائرتى يوما ما ، إن التحليق فى الجو خير من السير على هذه الأرض المفعمة بالشقاء والأتعاب

فقالت : أظن التحليق فى الجو خطرا

أجاب : قد يكون خطرا مع البله والمجانين ، أما اذا كنت معى فلا خوف عليك

ثم قال : إن السير على هذه الأرض لايخلو من مخاطر متى كان الرفيق ضعيف القلب قليل العزم ، وقد...

قالوا خذ الرفيق قبل الطريق ، ولكن أى رفيق ، وجعل يمثل البطولة والاقدام والشهامة وكل مايزين الرجال فعلمت مايعنيه

وكان رانسوم مشغولا بما بين يديه من أوراق فقالت :

إن صروف الأيام قد تركبنا المركب الوعر ونحن نعلم ما فيه من أخطار

فصاح : هذا خطأ ، إذ على العاقل البصير أن يسبر الطريق جيداً قبل أن يسير فيه ، وهذه الحياة أقصر من أن نمضيها فى تجارب وعثار ، وقد يكبو المرء كبوة يكون فيها هلاكه وضياعه ، عفواً يا سيدتى ، هذه آرائى الخاصة أو آراء طيار على الأقل

فأطرقت إيلسى وقد أدركت عمق الهاوية التى تشرف عليها ، إن أمها تريد منها أن تتزوج من تومي ، ولكنها لاتحبه ولا تريده وأمها حين اختارت تومى لم تقل عنه أنه أحسن الرجال . فاذا ماقالت إيلسى لها ان والتر يصلح زوجا لى وإنى أوثره على بقية الرجال لما عارضت إذ حسبها سعادة ابنتها

جالت تلك الافكار برأس الفتاة على حين جعل الطيار يراقبها

وطرح رانسوم الأوراق قائلا

فهمت كل شىء وقد راقتنى الفكرة كثيرا يا والتر فهض والتر مستأذنا

وقالت إيلسى : أرجو ألا تحرمنا من زياراتك فوقف أمام الباب يقول :

معنى ذلك أنك تحبين مجلسى ، و لذلك فسأزوركم دائما شاء أخوك أم لم يشأ

فصاح رانسوم : أنا ، تعال الينا يا عزيزى كل يوم بل أقم عندنا ان شئت

وكانت ايلسى تعلم أن والتر يعين أخاها بل الفتى تونى وودع الطيار وهو يقول

أن طيارتى أمانة بين أيديكم ، فصونوها ، وإياكم وتعطيها فى فؤادك وقلبى ، فصونوا القلب والفؤاد !!

ألفاظ تلتهب غراماً لم يفهمها سوى إيلسى

وقضت الفتاة ليلتها فى هم وتفكير

وكان والتر يقابل الفتاة كلما زارت المدينة ، كأنهما كانا أبدا على ميعاد ، والواقع أن لاموعد هناك ، ولكن الشاب كان يرصد الطريق الممتد من الضاحية الى لندن فاذا رأى مركبة الحسناء بادر اليها وادعى أن الظروف الحسان هى التى ساقته اليها

وفى ذات يوم طلبت مدام كارتر الى ابنتها ألا تمضى الى المدينة منفردة

فصاحت إيلسى : ولماذا ؟

أجابت : منعا لفضول الناس وثرثرتهم وخاصة وأنت مقبلة على الزواج

ولما جاء تونى مساء لم تعره الفتاة التفاتا ، وجعلت تهرب من حديثه ونظراته ، وحين هم بالانصراف طلبت اليه أن يوافيها فى الحديقة ، قالت ذلك وسارت اليها دون أن تزيد ، فطار خلفها وهناك جلس بجانبها على مقعد طويل وقال :

ها قد جئت امتثالا لأمرك

فقالت وفى صوتها لهجة جافة :

اسمع ياتونى ، يجب أن تفهم كل شىء حتى نضع حدا لهذه المهزلة

فصاح : وأية مهزلة !

فأجابت وقد أشاحت عنه بوجهها :

لقد حاولت مراراً أن أحبك وأن أنظر اليك بالعين التى تنظر بها الخطيبة الى خطيبها ولكنى فشلت ، وأنت تعلم أن القلوب لا تتعلم الحب بل تصاب به على غرة ، ولذلك وجدت من الشهامة أن أطلعك على سرى لتدرك موقفك منى ، دعنى أتكلم ، ومعنى ذلك أن زواجنا لن يتم ، ولا خير فى ارتباط يكون الكره أساسه وملاكه ، ولست أنا بكل النساء فاختر لنفسك أخرى تبادلك الحب وتسقيك كؤوس الهناءة والصفو ، لقد تكلمت

فابيض وجه الشاب وصاح وهو يرتعد :

وهل لى أن أسأل عن اسم الرجل الآخر ؟

فصاحت : أى رجل آخر !

أجاب : الذى حل حبه فى قلبك فطرد الهوى القديم

قالت: الهوى القديم، انى ما أحببتك قط وان كنت لا أبغضك

قال: اذن ما اسم الفتى المجدود الموفق

فصاحت: تلك أسرارى يا عزيزى فلا تتدخل فيما لا يعنيك

قال: صدقت

ووثب قائما وغاب فى الظلماء

وأطلقت ايلسى تقول لنفسها:

ان « والتر » يحبنى ما فى ذلك من شك، ولكن، ولكن هل يروم الزواج منى، وهل قلبى يحبه، أم هى أحلام الشباب ونزوات النفس، انى أحبه ولا ريب، والا لماذا يرتج على كلما وجه الى لفظا، ويخفق قلبى كلما رنا الى

ثم قالت: وماذا عسى الجيران والاهل أن يتحدثوا حينما يبلغهم انى رفضت الزوج من تونى

وخلفت مقعدها وسارت كئيبة فى مماشى الحديقة ثم صعدت الى حجرتها وما جلست حتي دخل أخوها يقول:

أين كنت يا أختاه؟

أجابت: فى الحديقة

قال: ماذا صنعت بتومى، لقد رأيته يخرج منذ ربع ساعة محنقاً مغتاظاً؟

أجابت: طردته

فصاح: ماذا تقولين؟

أجابت: رأيتك لا تميل اليه ولا ترغب فيه فقذفت به من حالق، ولا لوم على فتاة تحرت ما فيه مرضاة أخيها

فابتسم رانسوم وقال: يالك من ماكرة!

فغادرته ومشت قليلا وجلست على مقعد هناك، وجاء خلفها ثم وقف أمامها وقال:

وعلام اعتزمت، لا أحسبك ذاهبة الى دير

قالت: كلا سأقيم ببيتى هنا

قال: الى أن يظهر الزوج الموافق

فقالت: سواء أظهر الزوج أم لم يظهر فانى قانعة بعيشى

فاقترب رانسوم من أخته وقال فى لهجة خطيرة:

اسمعى يا ايلسى، هل تشكين فى اخلاصى وبعد نظرى

قالت: كلا

قال: اذن تزوجى من والتر، الفتى الذى يعبدك ويقدسك

فقالت: سأنظر فى هذا الأمر، والآن فامض الى والدتنا وتلطف فى ذكر الخصام الذى وقع بينى وبين تونى

قال: ولكنى لا أعرف شيئا عن الخصام

قالت: قلت له انى لا أهواه، امض يا رانسوم واذكرلها ما شئت

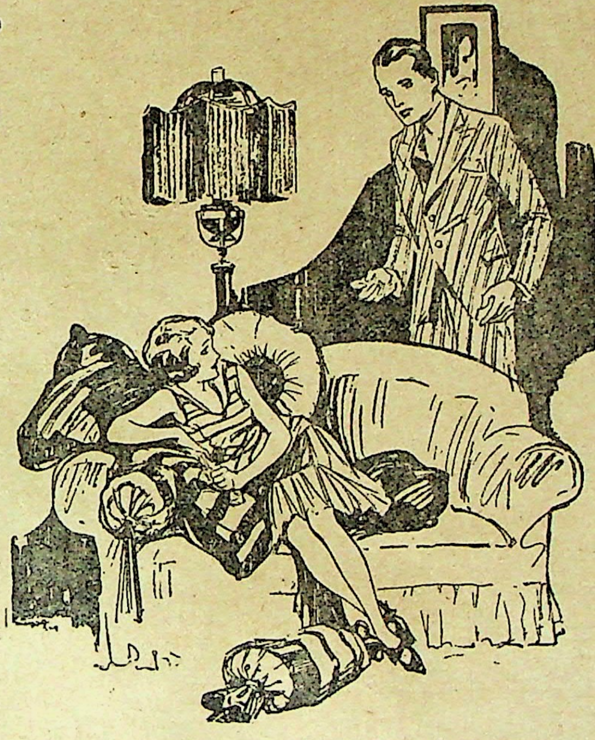

فصاح: ماذا تقولين؟

أجابت: طردته

(٤) وجاء والتر فى اليوم الثانى وسأل عن رانسوم فقيل له بالمدينة فدخل المكتبة للخادم وقال:

وأين مس كارتر؟

أجاب: فى غرفتها

قال اصعد واخبرها انى هنا

وما سمعت ايلسى أن والتر بالمكتبة حتى أسرعت اليه فقال حين رآها داخلة

سيدتى ما هذا الشرف العظيم الذى تخلعينه على، كنت أظنك لن تجشمى نفسك مؤونة النزول الى

فقالت: أغاب عنك، انك صديق الأسرة

فابتسم ابتسامة حزينة وقال: كلا

وأطرق ورأسه بين يديه

فتعجبت من شأنه وظنت أن مكروها نزل به، الا أنه رفع رأسه بعد لحظات وقال:

لقد آن يا ايلسى أن أنزل الى الأرض الجامدة بعد طويل تحليق فى السماء الذهبية

فقالت: ما فهمت قولك

قال : كرهت الأحلام والأماني وحنت نفسي الى الحقائق والحقائق لا تكون إلا على الأرض بين الناس لا في السماء مع الأطيار

قالت : ألست أنت القائل ان السماء خير من الأرض الحافلة بالأحزان

قال : قد تحفل الأرض بالاحزان في عيني الرجل الفريد الوحيد أما الرجل السعيد ذو الزوجة الموافقة فيرى فيها جنة قطوفها دانيه وأنهارها جارية

قالت وكأنها لم تدرك ما يرمي اليه أحسبك تشير الى مسألة تخالني أعرفها

قال : كلا، أريد أن أقول يا ايلسى اني أصبحت رجلا شقيا

قالت : وما يشقيك ؟

فنظر اليها في شوق وقال : الحب العاثر يا ايلسى

فصاحت : واها لك !

وهل فتاتك لا تبادلك الحب ؟

أجاب : وكيف تبادلني الحب هي تجهل ما يكنه فؤادي !

قالت : أفض اليها بسرك

قال : وهذا ما جئت اليوم لأجله. قال ذلك ووقف أمامها وقال :

أي ايلسى الفاتنة الساحرة ، أنت معبودتي وملاكي وأنت الفتاة التي عشقتها من النظرة الأولى فعرفت معنى الحب ، ولكني التفت حولي فوجدت مزاحما يسد علي المسالك ، فآثرت الصمت والكتمان ، وقلت تلك جنة حفت بالمكاره

فابتسمت وقالت : ولماذا خرجت من صمتك ؟

أجاب حين عيل صبري وتأرق جفني وذاب قلبي ، وما تكلمت لأحل مكان الحبيب ، كلا ، اني لا أطمع في تلك السعادة ، لأني على وشك السفر ، السفر الى بلاد نائية أدفن فيها نفسي ، هذه تصق يا ايلسى ، فالوداع ، الوداع يا منية الروح ، وأحلام النفس ، ولبانة القلب

وانفجر باكيا

على حين جلست ايلسى جامدة كالتمثال ، لا تطرف لها عين أو تختلج جارحة .

وعاد العاشق المدنف يقول :

كان يجب أن أصون سرى ودموعى ولكن الشوق غلبني فاغفري ذنبي ، وتناسى نفثة صدرى ، ولكن اياك اياك يا ايلسى وأن تنسى الشاب المتشرد المسكين الذي فارق الأهل والديار حين عرف انك لست من نصيبه ، اذكريني يا ايلسى كلما مال غصن على غصن وكلما سعى طير خلف طير وكلما بكت الحمائم وأنت النسائم واذكريني يا ايلسى كلما رأيت طلعتك البهية في مرآة ، وكلما طرق أذنيك لحن الحب نعم اذكرى الحزين النائي

وعاد الى بكائه ونشيجه ثم قال :

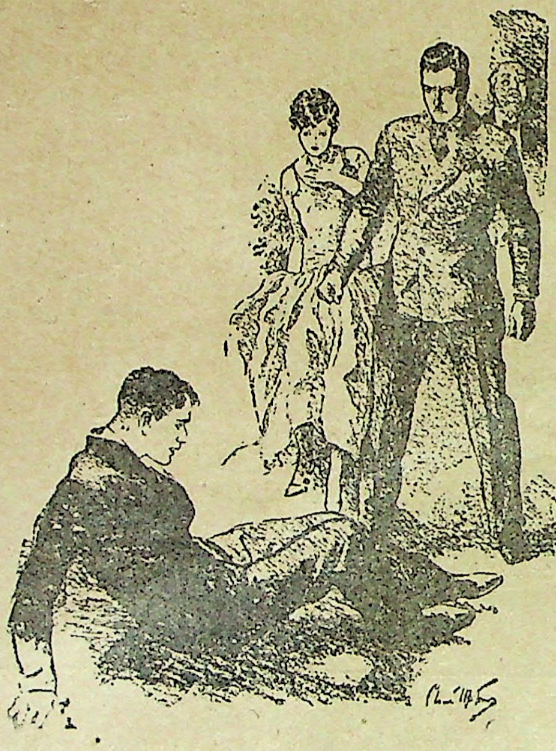

فوقع الطيار على الارض

وابق أنت يا تومى في الأرض التي حصباؤها ياقوت ومرجان ، وسماؤها سحر وأحلام ، وجوها هيام وغرام

وثار ثائره عند ذكر تومى فصاح

ومن تومي هذا ؟ شاب مغرور لا يزيد على دمية من تلك الدمى التي يعرضونها في شرفات المتاجر

وأرادت ايلسى أن تقول شيئا فقالت :

دع ذكر تومى

فزأر كالوحش الجريح: أيعز عليك أن أذكر تومى بسوء، ألا لعنة الله عليه، انه سبب نكبتى وبلوتى، ولو رأيته يدخل الآن لحطمت رأسه ولنبشت صدره عن قلبه المقوت ووطأته بقدمى، ستكونين يا ايلسى زوجتى شاء المأفون أم لم يشأ، نعم ستكونين زوجتى قبلت أمك أم رفضت، إن الله ماخلقك وسواك على هذه الصورة إلا لتكونى حليلة رجل يعرف كيف يصون جمالك وأنا ذلك الرجل

ورأت ايلسى انها على وشك الاغماء فقامت وقالت كفى ومارآها تسير نحو الباب حتى وقف فى طريقها وصرخ: ايلسى، أنت لا تخرجين هكذا، اسمعى حديثى أولا

فرفعت رأسها فى غضب وقالت: دعنى أمر

فصاح فى صوت أجش: اسمعى حديثى أولا، فقد يكون آخر كلام لى معك،

وعادت تصرخ: دعنى أمر

وقبل أن يتكلم سمع الاثنان صائحا يقول:

لبيك ياايلسى، أى شقى يعترض طريقك

ودخل تونى كالمجنون

فصاح والتر: اخرج من هنا أيها الشقى

فزمجر تونى وسار مهدداً نحو خصمه

على حين وقفت الفتاة مذعورة خائفة

فمشى اليها والتر يقول: لاتخافى ياحمامتى الغالية سأطهر البيت منه

وكان يتكلم وظهره نحو تونى

ورأى تونى الفرصة السانحة فهوى بمجمع يديه على رأس والتر

فوقع الطيار على الارض

وصاحت ايلسى

وهم الطيار بالوقوف الا أن تونى عاجله بضربه اخرى أرسلته بعيدا

فوقفت ايلسى مذهولة

راعتها قوة تونى واعجبها منه اقدامه

وشعرت لأول مرة بهوى تونى يغزو قلبها وجوارحها

كانت تظنه ضعيفا مهدود القوى فاذا هو أسد عند الغضب، وتلاشى هوى الطيار من قلبها دفعة واحدة فنظرت اليه فى ازدراء

ورأى تونى مافى عينى صاحبته

فصاح: اخرج من هنا ايها الوغد

فنظر والتر الى ايلسى فرآها مقبلة على تونى وترمقه بعين الحب والحنان

فغادر المسكين الحجرة وانصرف يتعثر فى أذيال الفشل

وارتمت الحسناء على صدر حبيبها تونى وهى تقول الآن عرفت انك مثال الرجولة

مكتب الأمانة للايجارات

تليفون ٣٥ — ٣٢ عتبة

لصاحبه: ب. شبيرا

بشارع قصر النيل نمرة ٤٠

مستعد لايجار واستئجار منازل مفروشة وغير مفروشة ومشترى وبيع عقارات وأراضى والقيام بعمل رهنيات

سخرية الاقدار

فى عام ١٩١٧ كانت نيران الحرب الكبرى مستعرة تلتهم المدائن والناس والأموال وشباب الأمم يتهاوى الى الجحيم والأطفال يتامى لايجدون الحنان والأمهات والزوجات بعضهن ثكالى وبعضهن ينتظرن وبقلوبهن يأس ورجاء .

ففي تلك الأيام العصيبة الباكية كنت ترى فى أحد ربوع سيبريا النائية أسيرين ألمانيين يدعى أحدهما ريشارد وثانيهما كارل يقضيان أيامهما فى العنت والشقاء تحت رقابة جنود غلاظ الأكباد يتفننون فى ارهاقهما بصنوف الأذى وتعذيبهما دون أن يجد البائسان فرجة من هذه الآلام المحضة .

فاذا بزغ النهار دفعت بهما الى العمل سياط الحراس فيتبادران الى الغابات وهى مغطاة بالثلوج يحتطبان الوقود فاذا فرغا شرعا يطهيان طعام الجنود فاذا فرغا شرعا يغسلان الثياب فاذا فرغا لم يعجز الجنود أن يعهدا اليهما بعمل آخر يستنفد منهما القوة والجهد

وكان ريشارد دائم الحنين الى بلاده لا يمل أن يذكر بيته أو عشه الهادىء كما يسميه وزوجته الوفية التى أقامت الحرب بينه وبينها سدا منذ أعوام ثلاثة ... وماكان غريبا أن تسمعه يقول وهو زائغ البصر يتأمل الأفق البعيد كأنما يملأ عينيه من شخص قائم بين السحاب : —

— لا شك أن حنا تعد العشاء فى تلك الساعة .

فيجيبه كارل مغيرا مجرى الحديث :

— وهأنذا ذاهب لأعد عشاءنا نحن ... فهيا أشعل النار ريثما آتي بالآنية .

ولكن المسكين ريشارد يظل على يأسه وحزنه وشرود فكره فيجيب قائلا : —

كارل .. إنى لأخشى أن تكون صورة زوجتى قد غابت عن ذهنى .

— آه .. ماهذا الكلام ... ألا تذكر أن لحنا شعر كستنائيا وعينين زرقاوين جميلتين . . . أتريد أن تقول أننى أنا الغريب عنكما أعرفها أكثر منك ..؟!

وفى ذات مساء تدانى الصديقان وتهامسا يتفقان على الهرب من هذه الحياة الميتة . وبعد أيام فرا من المعسكر وراحا يضربان فى الظلام والثلوج والبرد القارس والأمطار الغزيرة المتهاطلة وهما يسمعان خلفهما دوى الرصاص فيزداد تعلقهما بالحياة فيمعنان فى الهرب .

ولكن ماعسى تغنى الرغبة اذا كان المرء يناهض الطبيعة بل قل يناهض جميع القوى الشريرة ــ أجل .. سيما كذلك — فذا هو الجوع يمزق أحشاءهما وذا هو الظمأ يحرق شفاههما وهاهى ذى قواهما تخور .

فلما كانا على عشرة أميال من الحدود لم يستطع ريشارد مواصلة المسير فسقط إلى الارض منهوك القوى ولم يقو كارل على حمله فاضطر الى متابعة طريقه مخلفاً وراءه صديقه فى طور الاحتضار — هذا الصديق المسكين الذى كان يرجو أن يعود يوما إلى عشه الهادىء وزوجته الوفية

***

وبعد أسابيع وشهور هبط الأسير الهارب مدينة هامبورج فكان أول واجب عليه أن يزور بيت أرملة صديقه ليحمل اليها النبأ الفظيع وبادرها بقوله :

— انى أدعى كارل ياسيدتى وكنت رفيقاً لزوجك فى أسره

— أعرف ذلك ياسيدى فلطالما كتب الى عنك .. وإليك آخر كتاب منه الى فاقرأه

وتناول كارل خطاب صديقه وقرأ فيه مايلى :

« لقد أسرت أكثر من عشر مرات فلا يحزننى فى كل مرة إلا أن أكون بعيداً عنك ... وصديقى كارل

ما عسى يكون من شأنه ..؟ وما عسى يكون من شأنى..؟ لا أحد يدرى ... متى أعود إليك ... أشتاق الى ذلك ولكننى أجهل مصيرى ... الله وحده يعلم ما ينطوى عليه الغيب .

« أفكر فيك دائما والتمس من حبك كل شجاعة وكل عزاء .

« ريشارد »

ولما فرغ كارل من القراءة ظل صامتاً لا ينبس ببنت شفة فقالت حنا :

— والآن.. ألديك أخبار عن زوجى ..؟

— سأقص عليك الأمر منذ جمعنا الأسر

وشرع كارل يقص على حنا تفاصيل عيشتهما المريرة فى سيبريا وكيف أنهما فى فرارهما قاسيا كل ضروب المشاق وكيف انهما اضطرا فى أغلب الأيام أن يسيرا فى مجرى النهر توارياً عن أنظار الجنود

— وكان زوجك يهون علينا متاعبنا بأن ينشد بصوت رخيم « أغنية السجين » التالية :

« استمعوا الى رنين الأغلال والسلاسل فقد فات عام وهاهو ذا الثانى فى أثره ويزعمون أننا أحياء ولكننا لسنا كذلك كنت رجلا حرا مطلق السراح

« أما الآن ... فقد مضى وقت طويل حتى لقد نسيت معنى الحرية ... »

وجعلت حنا تسمع الى كارل وهو يلقى أغنية السجين وعيناها مغرورقتان بالدموع فلما فرغ من انشاده راحت تتأمل عينيه فقرأت فيهما بوضوح وجلاء مصير زوجها المسكين فانطرحت على المقعد واسترسلت فى البكاء إذ تحطم قلبها

***

وأراد الرجل أن ينصرف ليقضى ليلته فى أحد الفنادق فأبت عليه حنا ذلك وهى تعلم أنه ضعيف القوة فسألته أن يبيت لديها فأجابها الى ذلك بعد الحاح

ومرت الأيام وبدأت ذكرى ريشارد تضمحل من الأذهان وأحس كل من الأرملة وكارل حنينا غريبا من أحدهما الى الآخر .. ولكن اسم « ريشارد » كان يقوم بينهما حائلا دون الاندفاع فى الرغبات .

وفى ذات مساء ذهبت حنا برفقة كارل الى أحد المراقص

وبعثت ضجة الموسيقى ونشوة الخمر الحياة فى نفسهما وانزاحت عن قلبيهما هموم الدنيا ومتاعها .

وراحا يرقصان ويجرعان أكواب البيرة وبعثت ضجة الموسيقى ونشوة الخمر الحياة فى نفسيهما وازاحت عن قلبيهما هموم الدنيا ومتاعبها ورجعا الى البيت وهما ثملان بالابتهاج

ومال كارل على حنا وقبلها . . . وكانت قبلة طويلة لم يقطعها إلا صوت رجل أجش يصيح بهما .

— ويل لك ياسارق . . !

وكان هذا صوت ريشارد .. فبعد أن خلفه كارل وراءه فى طور الاحتضار لحق به الجنود وقبضوا عليه وحملوه الى المستشفى حيث عولج وشفى وظل فى الأسر حتى انتهت الحرب فعاد الى عشه الهادىء وزوجته الوفية وهاهو ذا يجدها قائمة بين ذراعى غيره .

وهم ريشارد بأن يبطش بصديقه كارل على أن يده تهاوت الى جانبه دون أن تجرؤ على الايقاع بذاك الصديق القديم الذى قضى معه أويقات الشقاء والبؤس والذى هم بأن يضحى بحياته من أجله فى فرارهما يوم أراد أن يحمله وهو خائر القوى والجنود فى أثرهما .

وقال كارل بلهجة تنطوى على الاخلاص .

— ريشارد . . أقسم لك . . ماخنت عهدك يوماً ولاخانت زوجتك شرفك لقد حسبناك ميتا . . ألم اتركك تحتضر . !

ونظر ريشارد الى ماضيه فرأى كيف عرفه الناس ميتا ولكنه الآن يعود ليفسد حلم قلبين بريئين ويفرق بين شخصين قضت الأقدار أن تجمع بينهما .

وما عسى يجدى عليه الغضب والحزن والسخط ..؟ أتراه يطلب من زوجته أن تخلص له حق وهو ثاو فى قبره

ونظر ريشارد الى صديقه القديم والى زوجته واغرورقت عيناه بالدموع وقال :

— كنت ميتا . . . وسأظل ميتا . . فليبارككما الله . . الوداع . . أنا ذاهب . .

ومضى الى الباب بخطوات ثقيلة وفى قلبه أحزان وفى عينيه دموع واستقل السفينة الى بلاد بعيدة .. بلاد يسودها الظلام ويلتمس فيها النسيان

لايفيدك الاعلان الا اذا وثقت من الاطلاع
عليه ممايهم للاستفادة منه ولا تضمن
ذلك الا بالنشر فى :

الجديد (المدرسة الجامعة)

شهرزاد (محبوبة الجماهير)

٢٥٠ جنيها في العام

الحب لا يغني عن المال لضمان السعادة الزوجية

كانت « تيلي ترى » قد بلغت الحادية والعشرين من عمرها فاقامت بهذه المناسبة حفلة دعت اليها في جملة من دعتهم بيل ولكنسون على الضد من رغبة أبيها .

ولقد بلغ السرور من بيل مبلغا كبيرا . أما تيلي فكان سرورها مما لا يمكن أن يوصف فقد كانت تحب بيل حبا جما ولم يكن يهمها مطلقا أن يعرف الناس أمر ذلك الحب ولم يكن يخفى على أحد وجود هذه العاطفة المتبادلة بينهما . فكانت نظرات بيل تتبع تيلي أينما سارت لأنه كان يرى انها أجمل فتاة في العالم . وفى الحق انه كان على شيء من الصواب فى تصوراته

كانت تيلي فاتنة ساحرة تلبس ثيابا أنيقة . وكان شعرها الذهبي الجميل يشبه أشعة الشمس المنعكسة على أديم البحر ساعة الغروب . وقصارى القول انها كانت على أتم صور الجمال ـ واذا كنت لا تصدقنى فاسأل بيل ولكنسون

عند ما يحب أحد الشبان فتاة جميلة فان أول شيء يجب عليه أن يقوم به هو أن يستوثق منها من قبل أن يزاحمه فيها رجل آخر : هذه هى عقيدة بيل . وقد كان فى الواقع يخشى عليها من « أوين ترى » ابن خال حبيبته تيلي

وفى مساء ذلك اليوم ظل اوين يبذل كل جهده فى سبيل مضايقة بيل وتحطيم آماله . فلم يترك لبيل فرصة للرقص مع تيلي بل صار هو يرقص معها في كل الأدوار وأخيرا اقترب بيل من تيلي وهمس فى أذنها قائلا :

« هيا بنا يا تيلي نجلس في الحديقة أثناء هذه الرقصة »

فأجابته بلهفة ومن غير أن يبدو عليها شيء من الخجل ثم قالت :

« لقد ظللت طول هـذه المدة أنتظر منك هذه الكلمة يا بيل .

وبعد أن اختفى الحبيبان نهض أفراد عائلة « ترى » وذهبوا جميعا الى حجرة الجلوس وكانوا العم تانر الكبير والعمة فيرجينيا الكبيرة ، وابن خالها فردريك وخالتها جيميا ، وجدتها . أما ابن خالها أوين فقد ظل في حجرة الرقص ليتفق مع ابنة القسيس على رقصة « الفكس تروت »

ولما دخل افراد عائلة « ترى » حجرة الجلوس وأغلقوا الباب وراءهم قالت العمة فيرجينيا الكبيرة بلهجة الاستهجان :

هذا شيء كثير لا يحتمل . مسكين ادوارد فلقد أظهر عدم رضاه عن دعوة ذلك الشاب . ولكنه مع ذلك جاء بناء على رغبتها

وادوارد هذا هو والد تيلي صاحبة الدعوة لعيد ميلادها . فنظرت جدتها الى العمة فيرجينيا وتساءلت :

ولكن ماهو وجه الاعتراض على ذلك الشاب بيل ؟

فرد عليها العم تانر الكبير بصوت يدل على الحزن العميق قال :

ان دخله السنوى لا يزيد على مائتين وخمسين جنيها فقط

فقالت الجدة :

عندما تزوجت كان زوجى يتقاضى نصف هذا المبلغ فقط

فقالت العمة فيرجينيا بغضب .

انه من أولئك الشبان الذين ينتهزون الفرص . ولكن لماذا لا تتزوج ابن خالها اوين حتى يبقى مالها في العائلة ؟

فابتسمت الجدة وهى تقول :

نعم ان اوين جدير بهذه التحفة

فاخذ أفراد العائلة يتغامزون ويقولون انه لا يمكن معرفة ماتخفيه تلك الجدة وراء ابتسامتها . فقالت العمة فيرجينيا

يجب على ادوارد أن يخوفها ويهددها باخراجها من الميراث اذا هى أصرت على الزواج من ذلك الشاب .

ومن رأيى أيتها الجدة المحترمة أن تقولى له أن يتحدث الى ابنته بمجرد انصراف المدعوين . اذ يجب عليها أن تفهم أن مسألة زواجها تمس العائلة كلها وان هذه العائلة لن تقبل أى هذر في هذا الشأن . فردت عليها الجدة بقولها

آسف ياعزيزتى لأن هذا الأمر ليس من شأنى

فغضب فردريك ورفع صوته قائلا :

ان كل مايتعلق بتيلى يمس العائلة . وهى فتاة صغيرة فقدت والدتها ولا بد لنا من النظر فى شئونها . ولقد قررنا نحن انه يجب عليها أن تتزوج اوين ، فلا مناص من تنفيذ ارادتنا . »

وفى تلك اللحظة فتح باب الحجرة ودخلت تيلى ومعها بيل . وكانت عيناها تلمعان كأنهما نجمان يضيئان فى ليلة كثيرة الضباب . وكان بيل واضعا ذراعه حول خصرها .

وبمجرد دخولها على أهلها نادت بصوت عال تجلت فيه علامات الغبطة والسرور فقالت :

« أعلن اليكم ياأهلى وقرابتى أن بيل يحبنى وأننا سنتزوج في الحال . أليس هذا أمرا عجيبا ؟! وهو يعرف منزلا صغيرا تحيط به حديقة جميلة سنستأجرها ونضع فيه كل ما نحبه من الاثاث ثم نقيم فيه فى قلب هذه البلدة .

ولقد دهش أفراد عائلة ترى لهذه المفاجأة . وعلى الرغم من انتهاء تلك الحفلة وذهاب المدعوين عدا أفراد العائلة بالطبع فقد ظلوا الى مابعد الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وهم يحاولون عبثا أن يرجعوا تيلى عن رأيها .

وكانت تيلى واقفة بالقرب من الباب والدموع تملأ عينيها فأخذت تقول للمرة الخمسين .

لن أتزوج ابن خالى أوين ، نعم لن أتزوجه مهما تكن النتيجة .

فسألها أحد أفراد العائلة قائلا :

ولماذا لاتتزوجينه ؟ . فردت عليه بقولها :

انظروا اليه . وكان أوين فى ذلك الوقت واقفا بجانب النافذة كئيبا حزينا . فاحمرت وجنتاه من الخجل عندما التفت اليه أفراد العائلة ليروا هل فى منظره مالايطيب .

وبعد هنيهة قالت الخالة مجيبة :

أظن أن منظره جميل جدا .

فسألتها تيلى قائلة :

وهل رأيت بيل ؟ انى أحبه وأقول هذا بكل صراحة . انى أحب بيل . انى أحب بيل . واذا كنت لم تسمعى كلامى هذا فانى أكرر عليك انى — أحب — بيل .

فغضب والدها وقال لها بعنف :

وهل تحبين دخله السنوى الذى لايتجاوز مائتين وخمسين جنيها ؟ ثقى بأنك لن تحصلى منى على شىء مطلقا . فقالت

لك أن تثق ياوالدى بأننا لانريد منك شيئا . فسنقيم في ذلك المنزل الصغير ونعيش بذلك المبلغ الصغير فى سعادة وهناء .

فسألها قائلا :

وهل تقومين بكل أعمال البيت من طبخ وخلافه مع أنك لاتعرفين كيف تسخنين قليلا من الماء ؟ . فقالت :

سأنظر في كل هذا فيما بعد . ولكن اعلموا انى بلغت الواحدة والعشرين من عمرى ، وانى سأتزوج بيل . أسعدتم مساء أو على الأصح أسعد الله صباحكم ، فانى ذاهبة الى سريرى .

فالتفت اليها ابن عمها أوين وقال وهو يتلجلج :

هذا . . هذا هو أول قول صدر منك يدل على شىء من العقل .

وبعد أن انصرفت الفتاة التفت الجميع الى الجدة المحترمة فى شىء من الدهشة والذهول . فأخذت المرأة العجوز تقول :

الحقيقة أن الفتاة قد أحسنت صنعا . وأنا شخصيا لاأرى فى حديث اوين شيئا من اللذة . والآن فقد ذهبت تيلى الى سريرها بعد أن انتهى كل شىء . وتقرر زواجها من بيل ولكنسون الذى تحبه حبا جما كما أنه هو أيضا يحبها ويكاد يعبدها . وسيتم الأمر من غير شك بمجرد الحصول على التصريح

فقال والد تيلى بصوت يمازجه الغضب :

كلا لن أقبل ذلك . ثم نهض وأخذ يمشى فى الحجرة جيئة وذهابا .

فتثاءبت الجدة ثم نظرت اليه فى هدوء وقالت :

لا مناص لك من الرضاء ياادوارد . وكان يجب عليك ألا تمانع من أول الأمر . والآن فانها ستتزوجه على الرغم منكم جميعا . فقال :

ولكنى سأ . . . فقاطعته بقولها :

لافائدة من الجدال . فانك لن تستطيع أن تصنع شيئا مالم تتركه هى من تلقاء نفسها . والآن فأصغ الى . اترك تيلى تتزوج من فتاها

فضرب الرجل المائدة بقبضة يده وهو يقول:

اتركها تتزوجه؟ هذا أمر مستحيل. فقالت الجدة:

لا أقصد أن يتم الزواج فى الحال وان كنت لا أعرف سببا معقولا يحول دون ذلك. فهو شاب جميل، واذا لم يكن غنيا فانى أظن أن قليلا من الفقر قد يفيد تيلى فائدة كبيرة. فلقد لقيت كثيرا من المناعم والتدلل حتى أنها لا تعرف كيف تغسل شعرها بنفسها. وفى مرجوى أن أعطى تيل درسا عمليا فى الحالة التى تكون عليها الفتاة التى تتزوج رجلا لا يملك سوى مائتين وخمسين جنيها فى السنة

فنظر أفراد العائلة بعضهم الى بعض وقالوا:

ماذا تقصدين يا جدتنا المحترمة؟

ثم أخذوا يتهامسون ويتغامزون ويقولون ان جدتهم قد كبرت فى السن وفقدت ما عندهم من بداهة وبعد نظر فأجابتهم بقولها:

سأقيم بنفسى فى ذلك المنزل الصغير خلال شهرى نوفمبر وديسمبر حيث سيكون الجو باردا ويكثر المطر والوحل فى الطريق. وقد أخبرتنى تيلى بأن مواعيد القطارات الذاهبة الى المدينة منتظمة، وأن هناك عربة فى تلك القرية لايصال بيل الى المحطة. وما دام الأمر كذلك فسأسمح لها بالاقامة معى. وبينما يذهب بيل فى صباح كل يوم الى عمله تقوم هى باعمال الطبخ وتدبير المنزل فى أثناء غيابه. أما أنا فسأكون معهما عددا زائدا فقط وان كنت سأشرف على كل شىء. وسيكون عليهما أن يعيشا من ماهية بيل كما أن أجرة البيت سيدفعها بيل أيضا. ولن أدفع شيئا الا ثمن طعامى وأجرة غسل ملابسى. فهل أدركتم الآن غرضى وعرفتم فكرتى؟

فنظر أفراد العائلة الى بعضهم ولم ينطقوا ببنت شفة وبعد هنيهة استمرت الجدة تقول:

والشرط الوحيد الذى اشترطه الآن، هو أنه اذا ظهر فيما بعد، انها مصرة على حبه على الرغم مما ستكون عليه من ضيق وفقر وما ستقاسية من الصعوبات، فانكم جميعا توافقون على زواجها منه. ولعمرى من ذا الذى يستطيع أن يمنعها حينئذ من إتمام هذا الزواج؟

فوافق والد تيلى على هذه الفكرة بقوله:

لقد اتفقنا! وانى على تمام الثقة من أنها سترجع الى قبل انقضاء اسبوعين وستبكى فى أحضان والدها طالبة العفو والغفران. انى أعرف ابنتى تيلى كما لا يعرفها انسان

فقالت الجدة:

سترى ما سيكون من أمرها. والآن فانى أحب أن أتناول فنجانا من الشاى قبل النوم

ولقد شمل السرور كلا من تيلى وبيل عندما علما انهما سيقيمان معا فى ذلك المنزل الصغير مع جدة تيلى المحترمة. واحمرت وجنتا تيلى من عظم فرحها فأخذت تقول لبيل:

سأشترى معطفا أزرق اللون يا بيل وألبسه فى كل مساء عند ما أخرج لاستقبالك بباب البيت. ألا يكون ذلك جميلا؟ فرد عليها بقوله:

وبعد تناول طعام العشاء نجلس جنبا الى جنب أمام الموقد ونضع الخطط العجيبة بشأن مستقبلنا. ان فى ذلك البيت الصغير موقداً كبيراً من الطراز القديم وأظن ان جدتنا لن يغضبها أن نقوم بوضع الخطط للمستقبل متى تم زواجنا

ثم تناول بيل يد تيلى وقبلها. فقالت لها الجدة فى لهجة التوكيد:

لن أكون الا زيادة فى العدد فضعا ما شئتما من الخطط وابنيا من العلالى والقصور ما يحلو لكما. ولكن افرضا انى لست معكما. وبعد هنيهة قال بيل:

ليس فى ذلك المنزل سوى مصابيح توقد بالزيت يا تيلى. فقالت:

آه يا بيل، يخيل الى أن نور مصابيح الزيت هو أجمل نور فى الدنيا. فهمس بيل فى أذنها قائلا:

ما عدا النور الذى ينبعث من عينيك يا حبيبتى المعبودة

فقالت الجدة:

وأظن أن مواقد الطبخ تشعل بالزيت أيضا؟ واذا كان الأمر كذلك فانى أرجو ألا يعجزك الطبخ على مثل هذه المواقد يا تيلى. فانك تعلمين اننى لا أستطيع مساعدتك لأنى لن أكون الا مجرد زيادة فى العدد

فتساءلت تيلى فى شىء من اليأس وقالت:

ولكن ألا نستطيع أن نجلب فتاة تقوم بالطبخ؟ انى لا أعرف الطبخ يا جدتى. فردت عليها الجدة بقولها:

اذن يجدر بك ان تتعلمى يا عزيزتى، فان ماهية بيل لا تكفى لاتخاذ خادمة. ولا شك فى أنك تعرفين انه يدفع جنيهين فى كل اسبوع ثمنا لأثاث المنزل. وهذا المبلغ الذى لا يستهان به يخصم من مرتبه السنوى أى من المائتين والخمسين جنيها

فأخذ بيل يفكر فى الأمر مهموما ثم قال:

نعم ان الأمر لكما تقولين يا جدتى. فهزت تيلى رأسها وهى تقول:

هذا لا يهمني كثيرا . وأظن أن بيل لا يعبد الطعام كشأن أكثر الرجال ، أليس كذلك يا حبيبي ؟ . فأجابها بقوله :

الطعام ! وماذا يهمني الطعام مادامت النغزات التى على خدك الأيمن أجمل من تلك التى على خدك الأيسر ؟.

وهنا ضحكت الجدة وقد سرت من طيب حديث بيل.

وفى عصر أحد أيام الثلاثاء وصلت تيلي وجدتها الى ذلك المنزل الصغير وكان بيل لا يزال في المدينة يقوم بعمله . وكان ذلك اليوم كئيبا انقضت منه عدة ساعات والسماء تمطر مطرا غزيرا . أما المنزل المذكور فكان لونه مزيجا بين الأسود والأبيض تكتنفه طائفة من الأشجار ذات الأوراق الكبيرة ولما دخلتاه قالت تيلي :

ما أجمل هذا البيت وأوفاه بحاجتنا !! والحق أن مهارة بيل قد ظهرت فى اختيار هذا المنزل البديع . وما اجمل منظر هذه الأشجار تحت السماء الزرقاء انى أستطيع أن أظل هنا ساعات برمتها أتمتع بجمال هذا المنظر الفريد .

وكانت جدتها تخالفها فى اطالة النظر الى البدائع الطبيعية فى ذلك الوقت لأن سائق السيارة مضطر لادخال العفش فى المنزل والرجوع بسرعة الى والد تيلي قبل أن يعود المطر الى الانهمار ، وفضلا عن ذلك فكان لا يزال أمام تيلي واجبات كثيرة تقوم بها قبل عودة بيل الذى كان سيركب القطار من واترلو فيصل الى المحطة عند الساعة السابعة وربع ثم يركب سيارة توصله الى المنزل في الساعة الثامنة .

وأخذت الجدة المحترمة تنصح لتيلي وتقول لها بوجوب اعداد طعام العشاء فى موعده لأن الرجل الذى يعمل طول النهار ثم يقوم بعد ذلك برحلة متعبة الى بيته لا بد أن يستشعر بالجوع خصوصا في مثل تلك الليلة الشديدة البرد . فأبرقت عينا تيلي وأخذت تقول :

حبيبي بيل ... ولكنه سيهيم بمنظر تلك الأشجار تحت قبة السماء الزرقاء .

فقالت جدتها :

كلا يا عزيزتي بل أنه سيهيم بقطعة من اللحم يودعها بطنه الجائعة .

ومع أن تيلي لم تصدق هذا الكلام فانها دخلت البيت وبعد أن وقفت أمام المرآة وأصلحت شعرها قالت لها جدتها :

ويجدر بك أيضا أن تملئي المصابيح زيتا قبل ان يدخل الليل وتصلحي أسرة النوم . فحملقت الفتاة فى وجهها وقالت :

لا أستطيع أن أملأ المصابيح يا جدتي

فقالت لها :

أنا أريك كيف تفعلين .

لوكاندة الكوارع الوحيدة الكبرى

لصاحبها محمد يوسف

نقلت من شارع محمد على الى شارع الأمير فاروق بالعتبة الخضرة على الشبال وفوق ما فى هذا المحل من الأنواع المعروفة فقد أوجد فيه فرع للكباب والكفتة والحمام المشوى وفطور الصباح

تليفون ١٥ — ٤٨ مدينة

ثم شمرت الجدة عن ذراعيها وأخذت تملأ المصابيح بينما كانت تيلي تنظر اليها وقلبها يخفق. وبعد أن انتهت جدتها من المصابيح كانت يداها قد اسودتا من الزيت ومن الشريط المحترق. فنظرت الى أظافر تيلي نظرة ذات معنى كأنما أرادت أن تقول لها من العبث أن تعنى زوجات الرجال الفقراء (بالمانيكور) بتجميل الأظافر.

وبعد أن غسلت يديها قالت لتيلي: «سأصلح الأسرة فى هذه المرة فقط ريثما تقومين انت بملء المصابيح الأخرى وتوقدين النار. وبعد ذلك سأكون مجرد زيادة فى العدد ياتبلي

فركعت تبلي على ركبتيها أمام الموقد وأخذت تقول:

لقد كنت أظن ان بيل سيقوم بايقاد النار

فعجبت الجدة لهذا الكلام وقالت

ماذا تقولين؟ أتظنين من رجل منهوك القوى بعد عمل مضن طول النهار أن يوقد النار أيضا؟ أن هذه هى الطريقة التى تعجل بتلف حبالكما معا.

فلم تنطق تيلي بكلمة بعد ذلك. أما جدتها فقد صعدت

فركعت تيلي على ركبتها أمام الموقد وأخذت تقول:
«لقد كنت أظن أن بيل سيقوم بايقاد النار.»

الى الطابق العلوى طلبا للراحة بعد أن أعطت الفتاة بعض التعليمات.

وقد انقضى الوقت بسرعة فكانت الساعة السادسة قد حانت قبل أن تشتعل قطع الخشب المبللة. ثم مضت ساعة أخرى وتيلي تعانى المتاعب فى اعداد الموقد. على انها كانت قد صنعت فطيرة فى خلال ذلك ولم يكن ينقصها إلا وضعها فى الفرن.

ثم جاء بعد ذلك دور البطاطس وتقشيرها. لم تكن تيلي تعرف كيف يكون تقشير البطاطس ولذلك فان السكين سقطت من يدها. فامتقع لونها عند رؤية الدماء التى سالت من يدها. وفي تلك اللحظة سمعت صوتا عند الباب الخارجى فألقت بالبطاطس في الاناء (الحلة) ثم أدخلت الاناء المذكور فى الفرن وأسرعت الى الخارج وهى تقول بيل ... بيل ...

فرد عليها بيل بقوله: حبيبتى! لماذا لم تقابليني عند الباب؟ لقد كنت أعالل نفسى طول الطريق من الحديقة الى هنا، بأنى سألقاك عند الباب مرتدية معطفك الأزرق

الجميل. فلماذا لا أرى ذلك المعطف عليك يا حبيبتي؟ فأجابته بقولها: انى لم أفك العفش المحزوم الى الآن لأنى لم أجد متسعا من الوقت لذلك. وهأنذى قد جرحت اصبعى. ولما تبينها بيل تراجع الى الوراء وهو يقول: ماذا أصابك ياتيلي وكيف لطخت وجهك ويديك بالهباب هكذا؟

فارتعشت شفتا تيلي وهي تقول:

لقد جرحت اصبعى يابيل كما قلت لك ولكنك لم تهتم بهذا الأمر. وهأنذى أشعر بحرارة و...

فقاطعها بقوله:

حرارة؟ كيف ذلك مع ان البرد هنا قارس. نعم انى أرتعد فهلا يوجد هنا نار للدفء؟

والحقيقة ان الموقد انطفأ فى أثناء غياب تيلي فى المطبخ فاقترب منها ثم ضمها الى صدره وقبلها. ولما أخذ يضمد الجرح الذى باصبعها جعلت تبكى كالأطفال. وبعد ذلك أوقد النار مرة أخرى وهيأ المائدة وقام بمعظم الأشغال المنزلية. فانشرح صدر تيلي وأخذت تقول فى نفسها: لاشك فى أن جدتى كانت مخطئة. فان الرجال لايتضجرون مطلقا من القيام بالأشغال المنزلية بعد عودتهم من أعمالهم

ثم جلست على مقعد مستطيل وقالت لبيل:

تعال ياحبيبي اجلس بجانبي ودعنا نغص في بحار الأحلام اللذيذة

وفى تلك اللحظة سمعا صوت الجدة المحترمة تقول: هل طعام العشاء أعد أم لا؟ انى أشم رائحة شيء يحترق.

فنهضت تيلي وهى تقول:

الفطيرة. الفطيرة

ولكن وا أسفاه فان الفطيرة كانت قد احترقت بالفعل وكذلك احترق البطاطس أيضا فأخذت تيلي تبكى فاقترب منها بيل وحاول أن يهون عليها بقوله:

لاتحزنى ياحبيبتى فلدينا كثير من علب السردين فهيا نأكل شيئا. لاتبكى فان كل ما احترق من البطاطس والفطير لايساوى عندى قطرة واحدة من دموعك الغالية

وهكذا انقضت تلك الليلة ولم تبد الجدة أية ملاحظة بشأن العشاء الذى احترق وتلف. وفى صباح اليوم التالى قرع صوت (المنبه) قبل أن ينقشع الظلام فاستيقظ تيلي من حلم لذيذ. واذا بها تسمع جدتها تنادى بقولها:

هل هيأت طعام الفطور لبيل؟

فأجابتها تيلي بقولها:

ليس فى استطاعتى الخروج من سريرى لأنه لايوجد ماء ساخن فقالت جدتها: لن يوجد ماء ساخن حتى تخرجى من سريرك ياتيلي واعلمى أنه ليس فى هذا البيت شيء من وسائل الراحة المستحدثة، فهل نسيت أن النار لاتوقد هنا الا باحراق كتل من الخشب والذنب كما ترين ذنبكما فقد آثرتما هذه المعيشة

فلم تجبها تيلي بل نهضت من سريرها متكاسلة ثم أصلحت من شأنها بسرعة وطرقت باب غرفة بيل وهى تقول انهض يابيل، اصح، اصح، ثم رجعت الى غرفتها لتستوفى قسطها من النوم. وقد لاحظت جدتها في هذه المرة أن تيلي محت كلمة «ياحبيبي» وهى تنادى بيل

وبعد نحو نصف ساعة خرجت من غرفتها وجلست أمام الموقد فى حالة تنم عن الهم والكدر وأخذت دموعها تنهمر من عينيها. فقال لها بيل:

هل أعددت طعام الفطور؟ فردت عليه بغضب قائلة

كلا... كلا. ثم أخذت تبكى. ولكن بيل لم يقل لها شيئا في هذه المرة عن دموعها الغالية بل قبلها بفتور وأخذ يلتفت الى الآنية التى كانت على الموقد.

وفى آخر ذلك الأسبوع بعثت الجدة المحترمة خطابا لوالد تيلي قالت فيه:

عزيزى ادوارد

حدث اليوم أول خلاف بين الحبيبين. فقد رفض بيل أن يغسل الصحون بعد العشاء. وقال انه مما لايستطيع احتماله أن يقوم بعمله طول النهار ثم إذا عاد الى البيت كلف باشعال النار وتنظيف المصابيح. وقد بكت تيلي احتجاجا على هذا الاعتراض. والحق أنها كثيرة البكاء ياادوارد، فلقد عودتها على البكاء كلما أرادت أن تحصل على شيء. قد تكون هذه العادة مستحبة ولكنها شاذة على كل حال فى البيوت الصغيرة حيث لابد من تقشير البطاطس وغير ذلك من الأعمال ولقد لزمت حجرتى ومعى مصباح مملوء زيتا. فانا أصنع لنفسى فنجانا من الشاى كلما أحسست شيئا من الجوع والا هلكت

وأحب أن تعرف فوق ذلك أن الحبيبين يشكوان من عسر الهضم...

جدتك

وحدث بعد ذلك أن رجع بيل من عمله فى مساء أحد الأيام وبعد أن خلع عنه معطفه قبل تيلي في جبينها. وبعد هنيهة لاحظ أن لانار فى الموقد فقال:

ألم توقدى النار أيضا ياتيلي؟ فردت عليه بغضب قائلة:

اني لا أحب لهجة كلامك أفتحسبني من بعض عبيدك ؟

فأجابها بقوله :

اعلم انك لست كذلك ولكن ألا يوجد شيء يؤكل كالعادة ؟

فسألته قائلة : ماذا تعني بقولك كالعادة ؟ فرد عليها بقوله :

ان الذي أقوله هو أني لم أجد شيئاً آكله مدة الأسبوعين الماضيين . ولكن على كل حال لا أنتظر طعاماً .

وقد اكفهر وجهه فأشعل سيجارة وجعل ينظر الى الدخان الذي تصاعد منها . فقالت له :

أظن أنك تتناول طعامك فى المدينة أليس كذلك ؟

فأجابها بقوله :

أتظنين ذلك ؟ ألا تعلمين أن الطعام فى المدينة يحتاج الى نقود وأن مرتبي لا يساعدني على ذلك ؟

فعضت تبلي على شفتها وأخذت الدموع تنهمر من عينيها فاستشاط بيل غضباً وقال لها :

لماذا هذا البكاء ياترى ؟ أو كلما قلت شيئاً أو فعلت أمراً تجهشين بالبكاء ؟ فقالت له :

ياللك من دنيء ! انك لا تفكر فى شيء سوى الطعام . ومن أجل هذا الطعام تتعمد الاساءة الى . مع أنك قلت منذ أسبوعين فقط أن أمر الطعام لا يهمك مطلقاً .

فقال بيل وهو يضحك ضحكة الساخر :

هل قلت ذلك حقاً ؟ اذن لقد كنت مجنوناً . فقالت:

بل لقد كنت أنا مجنونة عندما صدقت كلامك .

وكانت الجدة المحترمة تهيء لنفسها فنجاناً من الشاى في حجرتها وبعد أن شربته بدأت تكتب لوالد تبلي خطاباً آخر قالت فيه :

عزيزي ادوارد .

يمكنك أن تنتظر عودة تبلي اليك فى أية لحظة والحق انى حزينة من أجلها لأنها عاجزة عن اداء أى عمل عجزاً شنيعاً . ولقد حاولت مرة أو مرتين أن أعلمها كيف تؤدى الواجبات المنزلية ولكنها تنسى كل شيء فى الحال. وفضلا عن ذلك فقد تغير شكلها . ومما لاشك فيه أن هيئتها الجميلة التى كانت تجذب القلوب اليها كان الفضل فيها للخدم الذين كانوا يتعهدونها ولسخائك في الانفاق عليها . أما الآن فقد تكشفت عن حقيقتها فاذا هى مخلوقة فى منتهى الكسل . فتراها تظل طول النهار قذرة اليدين والأظافر تضع فوق ثيابها مريلة ملطخة (بالهباب) وهى لم تعد تعتني بشعرها فتتركه أياما من غير تنظيف ولا ترتيب. وطالما رأيت زوجها المنتظر يرمقها بشيء كثير من الدهشة والعجب . وقد أخذ على نفسه أن يخاطبها بلهجة الاستهزاء والازدراء ولم يعد يلاطفها ويلاعبها ويمنيها الأماني العذاب كما كان يفعل من قبل . وقصارى القول إنى أرى أن أفراد عائلتنا سيظفرون وقد بدأت ألمح ذلك .

جدتك

وبعد نحو أسبوعين آخرين حدث أن دخل بيل على تبلي وهى مستلقية على كرسى مستطيل وسألها قائلا :

أين جدتنا ؟ فأجابته وهى لا تزال مستلقية فقالت :

انها ستقضى اليوم فى دور دنج

فأدار نظره في الغرفة وهاله ما رآه فيها من التشويش وعدم النظام . فقد كانت أكياس من الورق ملقاة في كل مكان . وأدوات اللبس مبعثرة فوق الكراسى وكانت فضلات الطعام اليسير الذى تناولته تبلي لا تزال على المائدة

ثم أجال طرفه فى تبلي ليتبين اذا كانت هى بعينها تبلي التى كان يعهدها . هل هذه المخلوقة القذرة العبوسة هى تبلي ذات الشعر الذهبى الجميل الذى يحكى لون الشمس وهى تغيب من فوق البحر . هل هذه هى تبلي ذات الثياب الأنيقة المحلاة بسيور من الذهب ، تلك الساحرة الفاتنة التى رقص معها فى حفلة بلوغها الواحد والعشرين من عمرها؟

وبعد صمت قليل خاطبها بتؤدة وصوت خافت فقال:

لنكن صرحاء . يظهر أنك قد سئمت هذا أيضاً فلقد تعجلنا الأمر فأفسدناه ولكن الذى لا يمكن انكاره هو انى لا أزال أحبك غير أن ...

فاعتدلت تبلي فى جلستها وكان وجهها باهتاً ثم قالت :

وأنا أيضاً لا أزال أحبك ولكنى لا أستطيع أن أعيش هكذا يا بيل ، انى أحبك حقاً ولكن يستحيل علي ...

قالت ذلك وأخفت وجهها وأطلقت لعبراتها العنان

وكان بيل يكره أن يراها تبكى . ثم أخذت تقول :

لقد انتهى كل شيء يابيل فأنا التى أردت أن أجرب هذه الحياة الغريبة . ان الحب الذى يكون فى كوخ هو محنة . قد يلذ للاذن وقع تلك العبارات الخيالية ولكن عندما يتبين الانسان أن ثمة أموراً لابد من انجازها كاشعال المصابيح الزيتية وايقاد النار للطبخ والا فلا طعام ، فان مثل هذه الحياة تكون ...

فنهضا وهما ينظران بعضهما الى بعض فى يأس وقنوط .

وفي تلك اللحظة تراءت الجدة تدلف نحوهما من الممر ثم نادت بقولها :

افتح الباب يا بيل فانى لا أستطيع أن أرى شيئاً لأن المطر عاد ينهمر . ولما دخلت عادت تقول :

لقد ذهبت الى دوركنج لأزور خادمة لى من قديم فوجدت ابنتها مريضة ولذلك عدت ومعى طفلاها لتتعهدى أمرهما يا تيلى . تعال يا هوراس تعالى يا كاتى

فذعرت تيلى ودهش بيل وقالا معا

أطفال ! فاستطردت الجدة تقول :

ولم لا ؟ ان لأغلب الشبان والشابات الحديثى الزواج أطفالا أليس كذلك ؟ وفوق ذلك فهى تجربة لترى منذ الآن كيف تكون الحال فى المستقبل . لقد تناولا طعام العشاء ولا شىء ينقصهما سوى تنظيفهما وادخالهما فى السرير . ولقد تناولت أنا أيضا طعام العشاء . والآن فأود أن أنام ، أسعدتم مساء .

دعهما يربا ساعتك

فاخرج بيل ساعته وأخذ يداعبهما بلا جدوى قائلا :

اسمعا هذا الصوت الجميل . تك ، تك ، ماأغرب هذا الصوت . فلم يزدد الطفلان الا شدة فى البكاء وامعانا فى الصراخ فتبادل بيل وتيلى نظرات اليأس . ماذا يفعلان ياترى ، وكيف يصلان الى اسكاتهما ؟

وكأنما خطر لبيل خاطر فهم بالصعود الى الطابق العلوى وهو يقول :

لابد من احضار جدتنا لاسكاتهما

فنادته الجدة من خلف باب غرفتها بقولها

كلا يابيل فليس ذلك من شأنى فما أنا الا زيادة فى

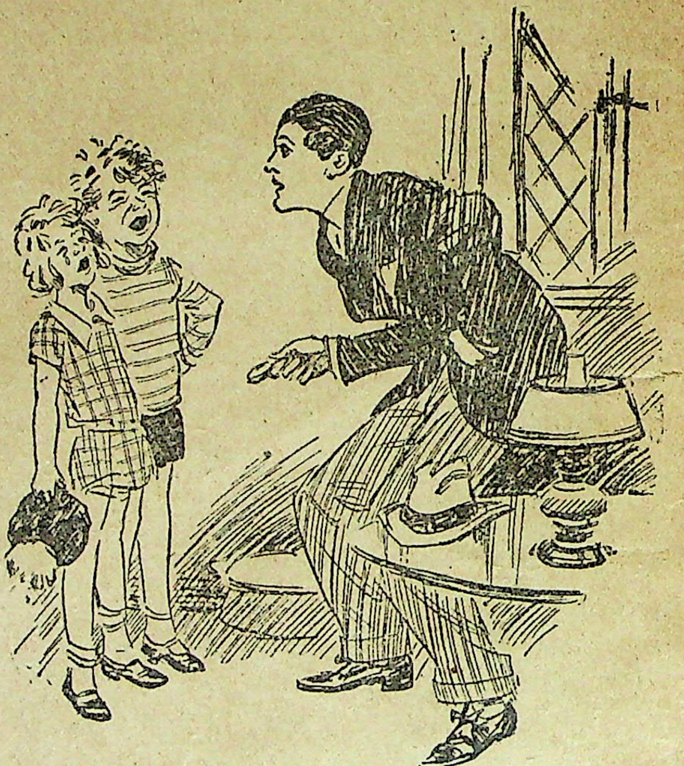

فأخرج بيل ساعته واخذ يداعبهما بلا جدوى قائلا :
« اسمعا : تك تك ما أجملها . »

فقالت تيلى : لا أعرف كيف امنعهما يابيل
فاصنع أنت شيئا دعهما يربا ساعتك . »

ثم دخلت غرفتها وأغلقت بابها قبل أن تفيق تيلى وبيل مما غشيهما

وبعد هنيهة أخذ الطفلان يبكيان بكاء شديدا أقلق بيل وأثار أعصابه فالتفت الى تيلى وقال لها :

امنعيهما من هذا العويل ياتيلى . أرجوك أن تحاولى ولكن الطفلين ظلا يصرخان فتهدم رأسها وأخذت تستنجد ببيل قائلة :

لا أعرف كيف أمنعهما يابيل ، فاصنع أنت شيئا .

العدد فقط ولن أتدخل في أمرهما هو من شأنكما . والأوفق أن تعطى الطفلين شيئا من الحلوى أوماشا كلها

فرجع يقول لتيلى بصوت ظهر فيه الحزم والاصرار

يستحيل أن أمشى مسافة خمسة أميال من أجل هذين الطفلين الشقيين وفضلا عن ذلك فان المطر لايزال ينهمر ألا تستطيعين اسكاتهما ياتيلى ؟ أين مافيك من غريزة الامومة ؟ وقد أوشكت أن تقول له أيضا : وأين مافيك من غريزة الابوة ؟ ولكنها لم تفعل لأنه خطر لها فجأة

أنه من غير اللائق أن ترد على بيل مثل ذلك الجواب السريع القاسى لأنها لاتستطيع أن تنسى أنه سلك معها كالملائكة فى قيامه بملء المصابيح واشعالها وايقاد الموقد وترك الماء الساخن أمام بابها فى صباح أول يوم قضياه فى ذلك المنزل . وهاهى ذى الآن توشك أن تفقده .

كان الطفلان لايزالان يبكيان . فالتفتت تيلى الى بيل وأخذت تقول :

نعم انى فتاة عاجزة يابيل فلا أنا أستطيع أن أطبخ ولا أنا أصلح لقضاء أعمال المنزل . حتى الأطفال لاأعرف كيف أتقهم من البكاء . فخير لك يابيل أن تستغنى عنى فقد تنصلح أحوالك من غيرى

فصمت بيل ولم يردعليها بكلمة . وفى تلك اللحظة كانت الجدة المحترمة فى غرفتها تكتب خطابا لوالد تيلى جاء فيه :

عزيزى ادوارد

بينما أكتب اليك هذه السطور فان طفلى خادمتى القديمة (أليس ميجس) يملآن البيت صراخا وعويلا وأظن انى أستطيع أن أتنبأ بأن ابنتك ستعود الى أحضانك غدا . فلقد رأيت على وجهى الحبيبين السعيدين بعد رجوعى الى البيت ، امارات النزاع والخلاف والتطاحن الكلامى ، وهذا أثار حزنى العميق . فالحق أنى أحب الشاب بيل لأنه متحل بصفات توجب محبته ولكن قضى الأمر الآن . ان تيلى لاترغب فى أحد مثل رغبتها فى اوين .. نعم اوين الزنديق الذى كنت أورى دائما التخلص منه بأية وسيلة لخير الجنس البشرى جدتكم

وكان الطفلان يبكيان أيضا فنفرت تيلى وهى تقول : يظهر أننا سنكون فى شبه بحيرة لاينقطع منها نقيق الضفادع أبداً . فقال بيل بلهجة اليائس :

لاأستطيع أن أصنع شيئا ياحبيبتى

وكانت تيلى قد وصلت الى حالة من الغيظ والحيرة توشك أن تؤدى بها الى الانتحار . ولكنها مع ذلك انتبهت الى كلمة حبيبتى التى نطق بها بيل . وأخذ هو يستمر فى كلامه فقال

لقد أريتهما ساعتى وجعلت أصنع لهما كل أنواع اللعب حتى فرغت جعبتى ولكنهما ظلا يصرخان ويصرخان فليت عندنا شيئا من الحلوى . فوقفت تيلى فجأة وقد تغيرت ملامح وجهها ثم قالت لبيل :

ما أشد غباوتى !! لقد كنت أحذق فتاة فى عمل الحلوى أيام المدرسة . وأظن ان لدينا شيئا من الزبدة والجوز والسكر والخل اذن فسأصنع للطفلين نوعا من الحلوى يقال له (توفى) اذهب أنت وأوقد النار ريثما آتى فى أثرك . فابتهج بيل وأخذ يردد على مسامعها قوله : « ياحبيبتى ياحبيبتى . وتقدمت هى نحو الطفلين الباكيين وأخذت تلاطفهما وتقول لهما :

ان خالتكم الحلوة ستصنع شيئا من (التوفى) لهوراس وداتى . فانقطع العويل فجأة وأخذا يقولان بلهفة :

نرجوك أيتها الخالة الحلوة أن تصنعى لنا (التوفى)

فبلغ سرور بيل من هذا المنظر حداً لا يوصف فضم تيلى الى صدره وهو يقول :

ياحبيبتى . . . انك أغرب فتاة فى هذه الدنيا العريضة

ولما طلع الصباح كانت تيلى مرتدية أحسن ثيابها فصعدت الى الطابق العلوى لترى جدتها . ولما رأتها فى تلك الثياب تنهدت وقالت :

هذا ما كنت أنتظره . لقد سمعتك وأنت تحزمين متاعك ، وحسنا فعلت . انك لاتستأهلين رجلا طيبا شهما مثل الشاب بيل ولكنسون . ولا ينفعك الا ابن خالتك أوين فهو من شاكلتك . انى حزينة من أجلك ياتيلى .

فسألتها تيلى بصوت غريب قائلة :

ماذا تقصدين ياجدتى ؟ لقد كنت أظن أنك تكرهين بيل مثل باقى أفراد العائلة . فهل تريدين أن تقولى انك لست ضدنا ؟ فحملقت جدتها فى وجهها وقالت :

ماذا تعنين بكلمة ضدنا ؟ لقد انتهيت منه أليس كذلك ؟ ألم تصممى على الرجوع الى بيت أبيك حيث ينتظرك النعيم ، وحيث الخدم والسيارات وتجميل الأظافر وغير ذلك من البدع ؟

فضحكت تيلى وهى تقول :

لا ياجدتى . ثم فتحت باب الغرفة وخاطبت بيل بقولها :

تعال يابيل ودع الطفلين نائمين وأنت ياجدتى فقد أخطأت فى هذه المرة . لقد أدرك كل منا عيوب الآخر وعلى ذلك فسنقيم فى شقة مفروشة فى لندن حيث نجد جميع وسائل الراحة على النظام الحديث . وقد قررنا أن نتزوج فى الحال وصممت على أن أتعلم الطبخ فأبرهن لبيل على أنى فتاة جديرة به .

لسألتها الجدة قائلة :

اذن فلا تزالان يحب أحدكما الآخر ؟ .

فدخل عليهما بيل وهو يقول :

أكثر من كل وقت مضى . ولقد كدت أخسرها فى الليلة الماضية بسبب سوء تفاهم . آه ياجدتى لو أنك رأيتها وهى تصنع (التوفى) للطفلين وتطعمهما اياه

قطعة فقطعة — فقاطعته تيلي وأخذت تكمل عبارته بقولها:

وليتك ياجدتي رأيت بيل يغني لها ويهز سريرهما الصغير حتى ناما اذن لعرفت أن ليس في هذه الدنيا رجل في مثل صبره وطيب قلبه .

فالتفت اليها بيل وقال :

ولكني لا أبلغ مقدار ماعندك من الصبر ياتيلي فانك قد .. فتدخلت الجدة بينهما وقالت :

أرجوكما اعفاني من هذا الثناء المتبادل . وأظن أنه لم يعد محل لارسال الخطاب الذي كتبته في الليلة الماضية لوالد تيلي . اذن فأنتما لاتزالان يحب أحدكما الآخر على الرغم من المصابيح التي توقد بالزيت والموقد الذي توضع فيه كتل الخشب والأفران التي تحمى بالزيت أيضا ؟ . فتنهد بيل وقال :

نعم اننا لا نزال يحب أحدنا الآخر على الرغم من ذلك . وقد أدركت مقدار القسوة التي تعانيها الزوجات حقا في مزاولة مثل هذه الاعمال المضنية . فنظرت الجدة الى تيلي وقالت لها :

لا تنسي يا تيلي ان كل ما لديكما في السنة هو مائتان وخمسون جنيها فقط .

فضحكت الفتاة ثم نظرت الى بيل وقالت :

قبلني يا بيل

فادارت السيدة العجوز رأسها وكانت تبتسم قليلا ، لاعما تراه أمامها من غبطة تيلي وبيل ، كما تكشف لها في تلك اللحظة أفراد العائلة وهم جالسون حول المائدة يتحدثون ويقولون : كم كانت جدتنا تكره أوبن !

وعند ذلك دقت الساعة فالتفتت الجدة اليهما وقالت بعطف وحنو :

أخشى أن تعوقكما هذه الثرثرة عن الرحيل فلا تنسيا نفسيكما

؟

.... نعم وماذا عليك لو تفضلت بزيارتنا مرة فعاينت الأقمشة والأسعار وسلامة الذوق في التفصيل عند : —

الترزي الشرقي

عبد الحميد محمد

شارع عبد العزيز — تليفون بستان ٢٣٠٢

هي زيارة واحدة ثم .... إذا بها عادة متحكمة

صديق الاطفال

أو « القربان البشرى »

لو قيل أن « الـكونغو » هو النهر الوحيد الذى مازال مجهولا من المستكشفين وأن « الزمبيزى » هو أحفل أنهار افريقيا بالمناظر الرائعة فان « اللمبوبو » هو بلا شك أملاها بالاسرار العميقة

فجانباه اللذان تكتنفهما الغابات عامران بقبائل السود الذين لم تحولهم تدابير البيض عن مراسيمهم الدينية الغريبة . وليس يطلع على دخائل هذه القبائل إلا عمال البوليس الوطنيين الذين تقضى عليهم طبيعة وظائفهم بالاتصال بهؤلاء الهمج

وإليك مثلا من فعائل القوم يحكيه حاكم مقاطعة بجنوب افريقيا رآه بعيني رأسه وكان له فيه يد جديرة بالحمد والاعجاب . قال هذا الحاكم الذى يدعى هنرى كيرتس:

فى أوائل عام ١٩٠٥ تركت مركز الحامية فى « بريتوريا » الى أعالى « نهر اللمبوبو » فى مهمة ليست ذات بال . فلقد كنت يومئذ « جاويشا » لا أكثر ، فلم أر بأساً من زيارة المزارع والمساكن المبعثرة على طول الطريق ، ففى إحدى تلك الزيارات وقع لى ذلك الحادث الغريب الذى لولا مظاهرة الحظ لكلفنى حياتى

كنت يوماً راكباً بضفة النهر اليسرى إذ وقع نظرى على كوخ ريفى وسط غابة كثيفة وعلى بعد مائتى ياردة من شاطىء النهر . وبينا أنا قاصد الى الكوخ إذا بشيخ دانيمركى ينسل منه فحييته فكان لابد — وتلك خلة قومه — من أن يسألني : عن اسمى ، ومن أين حضرت ؟ والى أين أقصد ؟ . وفى مقابل ذلك أخبرنى أن اسمه « فان انتورب » وأنه يعيش مع امرأته وابنتيه ثم دعاني الى تناول القهوة

ولما أن أخذنا مجالسنا بالفراندة طلعت علينا ربة الدار وابنتها الـكبرى وهى صبية تناهز السادسة عشرة ، وعند ما قدمنى مضيفى الى عائلته دعيت لتناول طعام العشاء معهم فقبلت . وكان السكوت غالباً أثناء الأكل فطرق أذنى صوت غريب لاح لى أنه آت من جهة النهر

وإخال الصوت نمى الى أذن كاترين ابنة مضيفى هى الأخرى لأنها لم تلبث أن مالت الى أمها قائلة :

— أرى التماسيح غير ساكنة الليلة أيضاً والقمر بدر ... فليت شعرى أية أم ستفتقد فى الغد طفلتها !!

ودفعنى ما اكتنف عبارة الفتاة من غموض الى استجلاء الأمر منها ولـكن كان الوالد هو السابق بالجواب وكان فى اجابته ما دفع بى الى لجج التفكير العميق

وإليك ملخص ما قصه الشيخ :

توفى منـذ عام رئيس عشائر « الاسوبونجو » الذى كان يعيش بقرية على بعد نصف ميل من المزرعة . وقبل أن يقضى استدعى نائبه وأسر اليه بعض التعاليم الخاصة بتوفير الراحة للرئيس فى مقره

ولم يكن « فان انتورب » على علم بهذه التعاليم ولـكن كل ما يعلمه هو أنه منذ وفاة رئيس القبيلة وفى الليلة التى يكتمل فيها القمر بدراً تجرى بعض الاحتفالات السرية على أيدى كهنة القبـائل بيقعة تسمى « بركة التمساح » وقد لوحظ أنه بعد كل حفلة تفتقد احدى نساء القرية طفلها

وفى تلك اللحظة خرق ذلك الصمت الشامل صرخة طفل قامت على أثرها ربة الدار الى احدى الغرف وعادت تحمل طفلة سمينة تحبي عامها الثالث . ولم يكن قد فاتنى أن ألحظ فى عينى السيدة بريق الرعب حين أشارت كاترين الى اختفـاء الطفلات . وها أنذا أدرك الآن مبعث ذلك الخوف .

وسرعان ما وطنت العزم على التربص لهؤلاء القوم قريباً من البركة حتى أكشف لنفسى سر هذه الحفلات وأن أعمل فى المستقبل على إيقاف تلك المأساة التى تتكرر كل شهر والتى خالجنى شعور قوى بأن هـذه الحفلات لابد منطوية عليها

وقصدت الى البركة وكان البدر تاما والاختفاء عسيراً غير أننى كمنت وسط مجموعة من الغاب ولما لم أكن أسمع ما يعكر سكون الليل سوى قرقعة أسنان التماسيح الهائلة اعتقدت أن لاعين وقعت على أثناء المسير

ولم يحدث شىء حتى منتصف الليل فهنالك وفجأة طرق سمعى قرع طبل بغيض النغم متماثله ، لايستطيع أحد نسيانه متى سمعه ولو مرة واحدة عنـد منتصف الليل فى أغوار غابة افريقية ولا سيما اذا تكشف له الغرض منه

وأخذ الطبل يقترب متعاليا ويتعالى اصطكاك اسنان التماسيح مرسلة مياه البركة من بين نواجذها كالنافورات من فرط مابها من هياج .

وبينا أنا أحدق النظر الى مصدر الصوت إذا بشبح يخرج من ظلمة الغابة كالمسحور يقود أقبح موكب يمكن لمخلوق تصوره . ولم يـكن ذلك الشبح إلا أحد السحرة — طويل كالمارد ، نحيل كالأموات ، فقد لف عنقه بحبال من جلود الأفعى تتدلى منها قطع من العظـام البشرية ولـكنه غطى رأسه بما لم أر مخلوقا يلبسه من قبل — جمجمة تمساح فاغر فاه ! !

وخلف ذلك الساحر كان يتقدم مخلوق آخر لا يقل عن سابقه قبحا غير أنه عارى الرأس ولـكن بين يديه قد نامت طفلة سوداء ! !

ووقف الجميع حول البركة وجعل الـكاهن الأكبر يخرج سكانها متمتما ببضع تعاويذ لم أتبينها لعلو جلبة التماسيح ، وجعل افراد الحفل ينسل أحـدهم إثر أخيه يدورون حول البركة ، ثم فجأة انقطعت ضوضاء التماسيح كأنما كان ذلك نتيجة لاشارة خاصة وجعلت كلمات الكاهن تطن فى أذنى وعند ما سكت أصبح سر اختفاء أطفال القرية عندى معلوما . فلم تـكن كلمات الـكاهن إلا ترديد تعليمات رئيس القبيلة المتوفى والتى كانت عبارة عن الأمر بالقاء طفلة من أطفال القرية كل شهر عند اكتمال البدر قربانا للتماسيح (معبودات القرية) حتى لا تشعر روح أوسولو الرئيس بالوحشة فى العالم الآخر .

ودام خطاب الـكاهن نحو الساعة وعند ما صارت أشعة القمر عمودية على البركة تقدم حامل الطفلة وطوح بها فى الماء فصاحت الطفلة مذعورة وارتفع فى سكون الليل صرخة حادة ما لبثت ان خفتت بين جلبة التماسيح المنهومة ! !

ويمكنك أن تتصور مقدار ما عانيت من مضض وأنا أرقب ذلك المشهد المريع بيد أننى لم ألبث الا قليلا بعد أن انكفأ الحفل راجعا فى صمت تام حتى أفزعنى عويل نساء القرية الذى ملأ جو الغابة فلم أعد أتبين له مصدراً ولست أذكر صوتا هو أفجع من صراخ أولئك السود يبكين أطفالهن فى جوف غابات أفريقيا .

وعبثا حاولت اقناع أولى الأمر بوجوب العمل على ايقاف تلك الضحايا الآدمية فلقد كان جوابهم أنه ما دام القوم يؤدون الضرائب المفروضة عليهم فليس ثمة ما يدعو الى التعدى لأمورهم الخاصة ولا سيما أنهم لم يمسوا البيض بسوء فلم يزدنى ذلك الجواب الا اهتماما بالأمر ، فجعلت أسهر الليل مفكرا فى كيف يكون خلاص تلك الأطفال البريئة

على أن مجهوداتى لدى أولى الأمر لم تخل من فائدة فلقد كشفت لى عن بعض الحقائق المهمة ، فخبرت مثلا أن « أوسولو » زعيم القبيلة المتوفى كان جد مغرم بمداعبة الأطفال فلما شعر بدنو أجله أشفق على نفسه أن يحرم صحبتهم فى العالم الآخر فخطر له أن يأمر باقامة تلك الحفلات التى تقدم تفصيلها حتى يرضى آلهة القبيلة — التماسيح — فتطير أرواح الضحـايا الصغار باحثة عن روح صديقها وسيدها فى الحياة الدنيا .

وكان ضمن ما توصلت الى معرفته عن شخص الزعيم المتوفى أنه يضارعنى طول قامة ونحافة جسم وأنه كان مصابا فى قدمه اليسرى بعرج خفيف . فـكان ذلك مضافا الى ما أعرف عن تشبث القوم بالخرافات مبعث رجاء فى أن أضع حداً لتلك الضحايا البشرية العديمة الجدوى واليك تفصيل الخطة التى عولت على انتهاجها والتى ساعدتنى الظروف على انفاذها بنجاح :

لقد كنت أردد على صاحبي الشيخ الدانيمركي وكنت أطلعه على ما دبرت من خطة اذ لم يكن لي غنى عن مساعدته وفي اليوم الذي كان لا بد أن تمثل فيه المأساة التالية قصدت الى منزل الشيخ عند الغروب متجنبا الطرق العامة فلما أشرفت على الكوخ أدركت لأول نظرة أن ثمة شيئا غير عادي قد حل بأهله فقد كان الكوخ مهجورا والأبواب مفتحة فلم يسعني سوى الانتظار .

وجعل الوقت يمر بطيئا وأرخى الليل سدوله ، وأخيرا بعد ان كاد ينفد صبري أقبلت الأسرة — الأب وامرأته وكثيرين تلوح على الجميع سيماء الحزن والوله ، ولم تدم حيرتي الا قليلا ، فلقد أخبرتني الأم بصوت المفجوع أن ابنتها اختطفت في غفلة الجميع بينما كانت ترتع وتلعب في الحديقة وانهم عبثا بحثوا ونقبوا عن عزيزتهم « سانا »

لقد اختطفت « سانا » والليلة ميعاد الاحتفال المشئوم حقا لقد أفزعني طيف الفكرة غير أنني لم أزدد الا تحمسا واقداما نحو تنفيذ المشروع ، فما تمت الساعة الحادية عشرة حتى نهضت الى علبتين من الطلاء الوهاج فغمرت بمائهما نفسي من قمة رأسي الى أخمص قدمي ثم لففت على وسطي جلد فهد وهو لباس زعماء القبائل مخفيا فيه غدارتي وفوق ذلك كله أسبلت عباءة سوداء من الحرير ثم خرجت متسللا بين الأدغال قاصدا نحو البركة ، وعند وصولي تخيرت مكانا مناسبا بحيث اذا اطلعت على القوم واجهتني أشعة القمر فيتوهج الطلاء وتبرق مادة المغنسيوم فيه فيحدث التأثير المطلوب .

وما هي الا دقائق معدودات حتى سمعت دقات الطبول تطن في سكون الغابة فتجيبها تماسيح البركة بصلصلة أسنانها . واقترب الحفل ولم يتغير منه سوى القربان الصغير فلقد كان في هذه المرة ملاكا صغيرا تحوطه تلك الشياطين الراقصة ، لقد كان أحد الكهنة يحمل « سانا » طفلة الشيخ الدانيمركي التي كانت تعلو صرخاتها المفزعة على دقات طبولهم الخرساء .

وبدأ الكاهن الأكبر يلقي خطابه الغبي في نبرات جافة خشنة . وانه لكذلك والقمر يسطع في كبد السماء وإذا بالنور يقتم وتغشى وجه الكوكب المتلألئ سحابة دكناء

فما كان أشد دهشة هؤلاء القوم عند ذلك ! اوما كنت لأدعهم يفيقون ، فلقد نزعت عني عباءتي وخرجت من مخبئي أحجل بقدمي اليمنى مقلدا الزعيم الراحل ، فما وقعت على أنظار المحتفلين حتى امتلأ الجو بصيحات الفزع والاندهاش وبعضهم اثر بعض خروا ساجدين الا « تومبلي » كاهنهم الأكبر ولاريب أن تنكري كان متقنا لأن الكاهن لم يداخله أي شك في أنني روح الزعيم الراحل فبصوت مهتز وبألفاظ متعثرة قال :

ألست راضيا في عالم الأرواح أيها الرئيس أوسولو زعيم قبائل الأسوبونجو حتى عدت الى ديار الأهلين متجسدا ؟! »

فأجبت على الفور وبدون تردد :

— لا ياشوماسو . .

فلقد كان الرئيس يدعوه بهذا الأسم .

— . . . ان روحي بخير في مقرها الجديد

على أنني تعلمت أشياء عدة منذ تركت دنياكم واليك أهم ماتعلمت في الديار العلوية . . أوه شوماسو ! ! إنه لما يغضب الاله الأكبر أن تقدم عشائر الاسوبونجو الآدميين قربانا لهذه التماسيح ممثلة في الارض

وأشرت بذراعي ذات اللون المتوهج الى التماسيح التي كانت في تلك اللحظة هادئة ساكنة .

— انني لأسحب تعاليمي التي أسررت لك بها قبل أن أرحل ... اوه شوماسو والآن حذار من التضحية بأهالي لاسوبونجو بعد أن تقاليد العشيرة يجب أن تبقى ولذا فليقدم قربانا لممثلي الاله عنزة أو عجل صغير ، ثم حذار ياشوماسو أن تمس بسوء جاركم الابيض لأنه كان صديقي ولتعد الى المرأة البيضاء طفلتها التي اختطفتها اليوم سالمة . . . .

وليكن معلوما أنه اذا لم تستطع تنفيذ أوامري هذه

وهنا رفعت ذراعي الى رأسي فسال من تحت أبطي كثير من العرق المشبع بالفوسفور فكان أشبه باللهب المتوهج

— . . . . فلسوف أعود اليكم وحينئذ . . . أوه شوماسو !! سوف تصطبغ مياه البركة بالدماء ولكنها لن تكون دماء الاطفال أو العجول !! ...

العطف

يزعم أنه طريد العدالة فتؤويه فى بيتها ثم يا تلفان

كان « جورج الين » جالساً فى محل تعاطى الشاى بالقرية يراقب فتاة كانت جالسة الى مائدة (ترابيزه) بجانبه تأكل فطيرة بتؤدة ورفق .

وكانت هذه الفتاة تختلف عن غيرها من الفتيات بحيث خيل اليه أنه لم ير فى حياته فتاة مثلها . فجعل ينظر اليها ويعجب بشعرها الجميل الذى تدلت خصلة منه على خدها . وكان يشعر بأنه يود أن يتحدث اليها ولكنها لم تعره أدنى التفاتة، اللهم الا أن يلتقى وجهها بوجهه عرضا

ولقد حاول جورج الين أن يشجع نفسه فيحادثها فى أحوال الجو وتقلباته وعند ذلك سقطت منها محفظة يدها عفوا من غير قصد . فأسرع اليها بينما كانت هى منحنية تريد التقاط المحفظة فتصادم رأساهما مصادمة عنيفة . وسرعان ما اعتدل فى شىء من الحيرة والارتباك فارتطم بصينية الشاى التى كانت أمامها فانقلبت عليها بما فيها من الشاى الساخن . فصرخت الفتاة صرخة عالية ونهضت على قدميها مبللة الثياب وقالت :

« يالك من غليظ أخرق . »

فأخذ يصلح رباط رقبته بهيئة تدل على أن اعصابه مهيجة . وقد احس أن تلك الجملة التى فاهت بها الفتاة لم تكن فاتحة حسنة ولا مشجعة له فى سبيل التعرف اليها . على أنه ضبط نفسه جهد الطاقة ونظر اليها ثم قال :

« انى آسف شديداً يا سيدتى وارجو ألا يكون الشاى الذى سقط عليك ساخنا . » فقالت له وهى تنظر الى معطفها .

« بل لقد كان ساخنا ، وساخنا جدا . » فقال :

« انى عاجز عن ابداء أسفى ولكنى كنت أحاول التقاط محفظتك . »

فقالت :

« وهل كنت تظن أنى عاجزة أو بحاجة الى مساعدة أحد ؟ » فرد عليها على عجل قائلا :

« ليس الأمر كذلك ، ولكنى ظننت — أريد أن أقول أردت أن أسألك — أو بعبارة أخرى أردت أن أعرف — » فسألته وكأنما داخلها الشك فى أمره :

« ماذا تريد أن تقول ؟ » فقال :

« ظننت — اعني ، ليتك تفهمين ما أقصد ، كنت أحسب أننا نستطيع أن نتجول معا ونقضى فسحة لذيذة . »

فنظرت اليه الفتاة بدهشة وتساءلت قائلة :

« اتقول انك كنت تريد أن نتجول معا . »

فاجابها والأمل ملء اهابه قائلا :

« نعم ياسيدتى فهل تسمحين ؟ »

فقالت بشىء من البرود والاستخفاف .

« إذا كان الأمر كذلك فانى أنصح لك أن تترك هذه الفكرة السخيفة . »

ثم تركته يحملق فى وجهها كالأبله ودفعت حسابها وانصرفت .

ولو أن رجلا آخر لقى ما لقيه جورج لفزع وتسرب اليه اليأس مما دار بخلده من الآمال . ولكن جورج كان من جبلة أخرى ، فقد كان يعتقد أن الفتيات عبارة عن مخلوقات لها أمزجة مختلفة وأنه لو استطاع أن يختار الوقت

الملائم للتقرب من هذه الفتاة فانها كانت تقع في حبائل حبه من غير جدال .

وقد استطاع جورج أن يعرف فيما بعد أن تلك الفتاة تدعى فيليس ديان فكان كلما رآها يسير في أثرها الى أن تدخل بيتها ثم يظل يطوف حول ذلك البيت لعلها تحيي آماله بكلمة أو نظرة . غير أن جميع جهوده ذهبت هباء.

وسواء أكانت طريقته عقيمة أم لسبب آخر فانه كان يخفق دائما في اختيار اللحظة الملائمة للتقرب اليها واستجداء عطفها . ففي كل مرة تراه فيها كانت تحول نظرها عن وجهه وتمر بجانبه كأنها لا تعترف بوجوده . ولما انقضى الأسبوع الأول على هذه الحالة أخذ جورج يشعر با كتئاب وانقباض في نفسه ولم يجد بداً من الالتجاء الى صديقه هربرت لويس ، الذي كان يقيم معه في بيت واحد ، يسأله الارشاد ويستمد منه النصيحة . وكان هربرت هذا شابا نشطا ممتلئا حماسة وكانت له آراء طريفة سديدة حتى أنه كان بمثابة النور الذي يضيء في خلال الحياة الاجتماعية في تلك القرية ، وهي حياة تشبه الروايات الخيالية .

وبعد أن أنصت هربرت إلى شكوى صديقه جورج في شيء من الريبة قال :

« أتريد أن تقول انك وقعت في حب فتاة ؟ »

فرد عليه خجلا مرتبكا بقوله :

« نعم »

فنظر اليه باشمئزاز ثم قال :

« لقد كنت أظن أنك ذو عقل سليم. ولكن ما خطبها يا ترى ؟ »

فرد عليه بقوله :

« لا شيء سوى أنها لا تحبني على ما يظهر . »

فسأله قائلا :

« وهل حاولت أن تجعلها تحبك ؟ » فرد عليه قائلا :

« الحق أني قلبت عليها صينية الشاي وكان الشاي ساخنا فصرخت »

ولما كان هربرت ممن يحبون الابتكار في الاعمال أكثر من كل شيء فقد دهش من هذا الكلام وقال :

« لم أسمع في حياتي أن شخصاً فعل مثل هذا . لقد كانت تجربة فيما أظن ؟ »

فقال جورج :

« اني لم أفعل ذلك عمداً بل عفوا من غير قصد . ولقد اعتذرت لها ولكن يظهر أنها لا تزال تحنق على من أجله . »

فصمت هربرت هنيهة وأخذ يفكر ولكن جورج استطرد يقول :

« لقد فعلت كل ما أستطيع أفعله لأتقرب اليها وأزيل ما علق بنفسها من جهتي ولكن يظهر أنها لا تريد أن تكلمني أو تنظر الي . »

فأخذ هربرت يحدثه بلهجة الناصح قال :

« كان الواجب عليك أن تصطنع الجزم والحصافة ففي الدنيا نوعان من الفتيات أحدهما يحب من الرجال ذلك الطراز الذي يشبه سكان الكهوف والآخر لا يحب هذا الطراز . ويظهر أن هذه الفتاة من النوع الذي يمقت الوحشية والهمجية . وقد كرهت أن يصب عليها وحش مثلك فنجانا من الشاي الساخن ، أما أنا فلا أستطيع أن ألومها على ذلك . ولكن كان الأجدر بك أن تقلب صينية الشاي على نفسك ، لأنك لو فعلت ذلك فانها كانت تسرع في طلب طبيب يعالجك . ثم أنها كانت تزورك في كل يوم وتقدم لك الهدايا من عنب وفاكهة شتى . بل ربما كنت قد وصلت معها الى الزواج أيضا . » فقال جورج

« لا أريد أن أسمع منك ما كان يجب على أن أفعله بل أريد أن أعرف ماذا يجب على عمله الآن. ماذا كنت تعمل لو أنك كنت في مكاني ؟ » فرد عليه هربرت بقوله.

« اكتسب عطفها ، إذ لا شك في أن المسألة كلها متوقفة على فعل القلب . » فسأله قائلا :

ولكن كيف لي بأن أكتسب عطفها ؟ » فرد عليه بقوله :

« ما عليك إلا أن تصاب في حادثة . والأمر سهل في هذه الأيام كما تعلم فابق بنفسك أمام إحدى السيارات فقال جورج .

لا تكن سخيفا . فاني قد أفقد حياتي اذا فعلت ذلك فماذا أستفيد منه يا ترى ؟ » فرد عليه بقوله .

« لا بد لك من المجازفة على كل حال ، ولا فائدة من الجبن فى أمر كهذا . انك تستطيع أن تعكف على تعاطى العقاقير . ولو أن هذه الطريقة تستغرق مدة طويلة ، الا أنها على كل حال جديرة بالتجربة ، فتساءل جورج قائلا :

« أحقا ماتقولين ؟ ولماذا لاتعكف أنت على تعاطى هذه العقاقير ؟ » فرد عليه هربرت بقوله :

« إذن فما رأيك فى المسكرات والدخول فى حلبة يمكنك أن تبدأ بالمراهنة فى سباق الخيل . » فقال جورج

« انى لا أعرف الخيل التى يجب أن أراهن عليها لأحفظ حياتى من التلف » فقال هربرت :

« ليست المسألة أن تصون حياتك بل ان الفكرة هى أن تتلف نفسك ثم تجوب خلال البلدة تستجدى الناس وتملؤم عطفا عليك . فاذا مازأتك بهذه الحالة التعسة » فقاطعه جورج بقوله .

وكيف أستطيع أن أزوجها اذا كنت أظهر أمامها فى مظهر البائس الفقير الذى يستجدى الناس ؟ »

فتضجر هربرت وقال :

« اذا كنت ستستمر فى اقامة اعتراضات سخيفة أمام كل فكرة أو اقتراح فلا أرى موجبا لأخذ رأبى أليس كذلك »

فرد عليه بقوله :

« اذا كانت جميع اقتراحاتك من هذا القبيل فانى لا أستطيع . . .

ولكن لا فليست كل آرائك على هذا النمط . »

ثم انقضى يوم وجورج فى حيرة شديدة لايدرى ماذا يصنع . وانقضى بعده يوم آخر وهو يكاد يجن من العجز الذى استولى عليه وأغلق فى وجهه جميع منافذ الحيلة . وفى اليوم الثالث دخل عليه هربرت فى وقت تناول الشاى وهو يلهث من التعب . ثم قال بحماسة شديدة :

« لقد وجدتها . » فسأله جورج قائلا :

« أحقا وجدتها ياهربرت ؟ وما هى ياترى ؟ » فرد عليه بقوله :

« الفكرة يابنى ، لقد وجدت الفكرة المثلى . وستقول لأولادك فى المستقبل ان عمكم هربرت قد أسدى لى يدا لن أنساها ، وصنع من أجلى كل هذا . » فتأثر جورج من لهجة صديقه وتساءل قائلا :

« ماذا تعنى ياهربرت ؟ هل تقصد الطريقة التى يجب أن أسلكها ؟ »

فجلس هربرت بجانبه وشرب فنجانا من الشاى ثم قال له :

« أصغ الى . فى نحو الساعة الثانية ونصف بعد ظهر اليوم دخل رجل فى البنك وطلب من وكيله صرف مبلغ من المال له ولما امتنع عن إجابة طلبه ضربه بالمسدس ثم اختفى فهاج المكان وأخذ البوليس يبحث عن الجانى والناس جميعا يتحدثون عن هذه الحادثة . » فقال جورج فى سكون

« المسألة مهمة جدا ولكن أى شأن لها معى ؟ »

فرد عليه هربرت بقوله :

« فكر فى الأمر مليا . فهناك طريد العدالة ينتقل من مكان الى مكان من غير أن يجد صديقاً ولا معيناً ، وعيون العدالة تتربص به جميع الدوائر . رجل يناضل فى سبيل حريته فيسقط على عتبة بابها من اليأس والاعياء . » فتساءل جورج قائلا :

« على عتبة باب من ياترى ؟ » فأجابه بقوله :

« عتبة بابها هى . ما اسمها ؛ عتبة باب حبيبتك . »

فذعر جورج ووقف على قدمية وهو يقول :

« ماذا ياهربرت ! أتريد أن تقول أن ذلك الشقى كان جالسا على عتبة باب فيليس ؟ » فرد عليه بقوله :

« كلا كلا ، وانما أريد أن أقول انه سيجلس على تلك العتبة . » فقال فى شىء من الارتباك :

« أصحيح ماتقول ؟ وهل يفعل ذلك ؟ » فرد عليه هربرت قائلا :

« أصغ الى ياجورج فقد ضللت النقطة التى أقصد اليها فمما لاشك فيه أن ذلك الطريق قد اصبح بعيدا عن يد العدالة وأعين الرقباء . ولكن الذى أقصده هو أن الرجل الطريد أهل لأن يثير عطف أية فتاة عليه . وهكذا سنحت لك الفرصة للتأثير فى قلب الفتاة التى تحبها ولضمان عطفها هل فهمت — هذه هى الفرصة الوحيدة التى تستطيع أن تستفيد منها . »

فاضطرب جورج واصفر وجهه ثم قال :

« لا ، لن أفعل ذلك ولو خسرت آمالى فيها . »

فزمجر هربرت وهو يقول :

« بل يجب عليك أن تصبح ذلك الطريد من وجه العدالة . ثم يجب عليك أن تلتجىء الى بيت فيليس وتسألها أن تعمل على خلاصك من الذين يطاردونك باسم العدالة هل فهمت ! » فأجابه جورج بقوله :

بل تدرك أنها ستشعر بدافع يضطرها لمساعدتك ؟ ولا شك فى أنها ستعطف عليك وينشأ بينكما رباط من الألفة . وفوق ذلك فانك متى اصبحت فى بيتها فقد تهيأت لك الاسباب لايجاد الصداقة والمحبة به فصمت جورج هنيهة وأخذ يفكر ثم قال :

« ربما كان فى هـذه الطريقة شىء من الصواب . ولـكنى اخشى ألا تصدقنى .

فقال هربرت :

« بل ستصدقك بلا ريب لأنه سيكون عليك أن تمثل دورك بمهارة . ولا يمكن أن يخطر ببالها انك تفعل تلك الفعلة فى البنك ثم تعترف لهـا بجريمتك لمجرد الرغبة فى الالتجاء الى بيتها ومحاولة كسب قلبها . فهذا غير معقول بالطبع . »

فقال جورج :

« الحق معك يا هربرت » فاستطرد هربرت يقول

« انها ستحاول أن تجعل منك رجلا آخر ستعمل على اصلاحك . ومتى وصل الأمر بفتاة أن تحاول اصلاح رجل فانها تتزوجه لتضمن نجاح محاولتها . فهل أدركت الفـكرة ؟ »

ولما اقتنع جورج بهـذه الفـكرة قرر هربرت ألا يضيع الوقت سدى بل يبدأ بتنفيذ ذلك المشروع فى الحـال .

وعند ما دخل المساء كان جورج على تمـام الاستعداد لتنفيذ الخطة

ولما أراد هربرت أن يختار لجورج الملابس التى توافق الدور الذى سيمثله أصر جورج على رفض استعمال تلك الملابس . فتضايق هربرت وقال بغضب :

« هذه الأمور الصغيرة هى أهم مـا فى المشروع . والحق أن هـذه الملابس ضرورية وفوق ذلك يجب أن تحدث فى نفسك جرحا أو جرحين زيادة فى سبك الحيلة »

فقال جورج .

« لا يهمنى كل هذا الكلام ولا يمكننى أن أشوه هيئتى لأجلب لك السرور . »

فقالت هربرت :

« اذن فاية فائدة ترجى من تفكيرى الطويل فى هذه الحيل والأساليب اذا كنت تزيفها الواحدة بعد الاخرى انى أحاول أن أساعدك فيجب عليك أن تحتمل قليلا مما لا يسرك . » فقال جورج .

« الواقع أنه لا يهمنى أن اتجشم المتاعب والمضايقة ولـكنى لا أستطيع أن أقف أمام فيليس فى هيئة رجل هارب من مستشفى المجانين . »

كانت فيليس ديان تقيم مـع امرأة متقدمة فى السن تدعى مسز جونس فى منزل صغير منعزل فى ضاحية المدينه.

وكانت تلك الجهة ملائمة تماما لايواء طريدى العدالة من مختلف أنواع المجرمين .

ولما كانت فيليس جاهلة تماما بعادات اولئك الذين تطاردهم العدالة فقد ذعرت عند ما فتحت البـاب

سيدة فرنسية انجليزية الاصل

تعطى دروسا فى اللغـة الفرنسية والانجليزية في البيت . وتقبل وظيفة سكرتيرة أو مربية

شهادات حسنة .

الآنسة تيرى

شباك البوستة العمومية بالقاهرة

ووجدت جورج جاثيا على ركبتيه عند عتبته فى ثياب ملطخة بالوحل ومنظر يدل على شدة الفزع والاضطراب :

وقد كادت تصرخ من شدة ما استولى عليها من الخوف ولكنها تماسكت وسألته قائلة :

« ماذا تريد ؟ » فأجابها جورج بصوت أجش قائلا :

« أريد مأوى ، ولا بد لى من الاختفاء فانهم يطاردوننى . » فسألته قائلة :

« من الذى يطاردك ؟ » فرد عليها بقوله :

« البوليس »

فازداد فزعها وقالت :

« البوليس ، إذن يحسن بك أن تدخل . »

فدخل جورج ، وكانت مسز جونس قد آوت الى سريرها . ثم وقف أمام النافذة وجعل يطل على الشارع . فاقتربت منه فيليس وجعلت هى الاخرى تطل من النافذة لترى اذا كان البوليس فى أثره .

فقال جورج بصوت أجش : « لابد لى من الاختفاء فانهم يطاردوننى » .

وفى تلك اللحظة أبصرت برجل البوليس ينير مصباحا كهربائيا صغيرا ويفحص الطريق . فظنت أنه يفعل ذلك لأنه يبحث عن الطريد الواقف الى جانبها . وقد نسيت أن رجال البوليس جميعا يفعلون ذلك فى المساء ليستوثقوا من خلو الطريق من العوائق والقاذورات

وكان هذا من حسن حظ جورج بالطبع . وبعد هنيهة ابتعد رجل البوليس من أمام ذلك المنزل فتنفس جورج الصعداء وقال لفيليس .

« الحمد لله لقد ذهب . » فقالت

لقد كان الخطر قريبا . ولكن ماذا فعلت يا ترى ولماذا يقتفى البوليس آثارك ؟ »

فرد عليها بقوله .

« ألم تسمعي شيئا عن حادثة البنك التى وقعت بعد ظهر اليوم ؟ »

فاعتراها ذهول شديد وهى تقول .

« أريد أن تقول انك . . . . لقد قرأت نبأ تلك الحادثة فى صحف المساء . فهل أنت الذى فعلتها . ؟ »

فهز جورج رأسه بحزن واسف وهو يقول « نعم . وكانت نزوة طافت برأسى على حين فجأة . » فقالت :

ولكن البوليس يقول ان الرجل الذى يتهمونه قد دخل السجن مرات عدة لجرائم السرقة . »

فاضطرب جورج وقال على عجل :

« نعم . نعم فلقد أصبت من قبل بهذه النزوة الفجائية ايضا . وهى تشبه التشنج العصبى الذى لا يعرف الانسان متى يصاب بنوبته . »

ثم ساد بينهما سكون عميق وبعد قليل سألته فيليس قائلة :

« والآن فماذا أنت صانع ؟ » فرد عليها بقوله .

« يخيل إلى أنه يجدر بى أن .. أن أذهب . »

فسألته فى شىء من الشك :

« ولكن هل تظن أن الطريق مأمونة ؟ ألا تظن أن الأوفق هو الاختفاء عن أنظار الناس مدة قليلة ؟ »

فرد عليها بقوله :

« نعم أظن ذلك . » فقالت فيليس :

« يمكنك أن تظل فى هذه الغرفة الليلة ففيها كرسى مستطيل تستطيع أن تستريح عليه . ولكن يجب عليك أن تعدنى بأنك لن تسرق شيئا . »

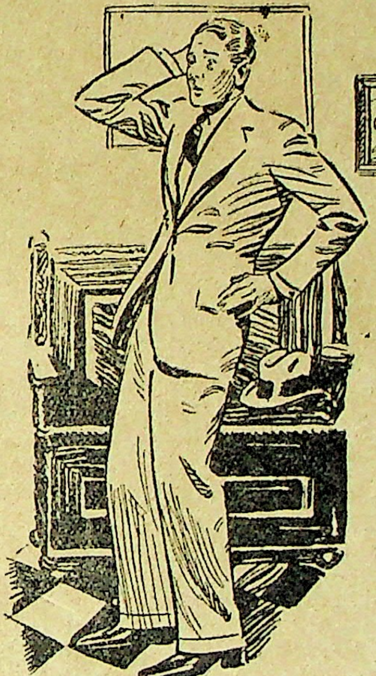

فزمجر جورج وكان الزائر هربرت بعينه !

فأثارت هذه العبارة هائجه وأخذ يقول :

« أسرق شيئا ؟ اسمعى إذا كنت تظنين — أقصد أن أقول — من غير شك سأحاول ألا تصيبنى نزوة جنائية . »

فنصحته بقولها :

« هذا هو الواجب وهو فى مصلحتك . ويخيل الى أنى سخيفة إذ أسمح لك بالبقاء هنا ، ولكنى لا أرى عليك سيماء المجرمين . وأكره أن أرى فتى وسيما — أقصد شابا يؤول أمره الى الدمار ، وعلى ذلك فلماذا لا تغير طريقتك فى الحياة وتسلك سبيل الاستقامة ؟ » فوعدها جورج بقوله :

« سأفعل ، وانى مستعد لعمل أى شىء من أجلك »

وقضى جورج ليلته راقداً على ذلك الكرسى المستطيل وبعد أن تناول طعام الفطور فى الصباح لاحظ أن فيليس تنظر اليه مرارا نظرات فاحصة غريبة . وقد ظن أنها كانت تتأمله لترى إذا كان فى الامكان اصلاحه . أما المسز جونس فانها كانت ترمقه بنظرات قاسية ولكنها لم تبد أية ملاحظة .

وفى أثناء ساعات الصباح أقبل على ذلك البيت زائر

فأشارت فيليس الى هربرت وقالت ببرود: «يقول هذا الرجل انه أحد أصدقائك وانه يريد أن يتحدث اليك»

غير معروف فخفت فيليس الى الباب وهى تعجب لأمر ذلك الزائر وسار جورج فى أثرها فدهش إذ رأى على عتبة الباب شخصا ذا لحية تظهر عليه ملامح اللصوص . وقد لف على رقبته (كوفية) ووضع قبعة صغيرة على رأسه فزمجر جورج لأنه عرف تلك الملابس . وكان ذلك الزائر هربرت بعينه . فأشارت فيليس الى هربرت وقالت ببرود

« يقول هذا الرجل انه أحد أصدقائك وانه يريد أن يتحدث اليك . »

وقد سمح لهربرت بالدخول وبمجرد ذهاب فيليس التفت الى جورج ثم ابتسم وقال :

« هل الامور جارية على مايرام ؟ » فرد عليه جورج بقوله .

« كل شيء على مايرام . ولكنى لا أدرى لماذا تهجمت على هذا المنزل هكذا ؟ »

فقال وهو يفيض سرورا :

« من المفهوم دائما أن المجرم له أعوان وشركاء . والحق ياجورج أن هيئتك لا تدل على انك مجرم حقيقى . أما أنا فقد مارست التشبه بالمجرمين فى هيئتهم وثيابهم وانى من هواة هذا التقليد . انظر كيف انى لم أحلق ذقنى ؟ »

فقال جورج فى شيء من الحدة :

« انك تشبه البلاشفة . » فقال هربرت :

« تعال يا جورج ولا تجعل للغيرة سبيلا الى نفسك . لقد جئت الى هنا بصفة كونى شيطانك الذى يدفعك الى فعل السوء . وغرضى من ذلك التعجيل بالبت فى أمرك . ففى الوقت الذى تدرك فيه هذه الفتاة انى أحاول أن اسحبك مرة اخرى الى هاوية الفساد والشرور ، فانها تشرع وتتزوجك لتخلصك من نفوذى السيء عليك . هل فهمت غرضى ؟ »

فأجابه جورج بقوله .

« كلا لم أفهم شيئا . والحق أنى قد تعبت من حياة الاجرام . ولاشك فى انك كنت تتعب منها أيضا لو أنك قضيت ليلتك على هذا الكرسى تحاول أن تنام فلا يواتيك النوم مما تعانيه من الزنبلك المكسور الذى يكاد يغور فى جنبيك . »

فغضب هربرت وتمتم قائلا :

« ياالهى كأنما أحاول أن اضع عقلا فى رأس قرد من نوع الشمبانزى . ألا تستطيع أن تعقل شيئا ؛ أننى أحاول الآن أن أعود بك الى حياة الشرور والاجرام فهل فهمت؟ تعال معى »

وهنا ظهرت فيليس فجأة ثم تساءلت :

« الى اين تريدان الذهاب ؟ » فقال جورج بصوت خافت :

« نحن عائدان الى حياة الـ .... » وقال هربرت بكل بساطة كأنما أراد أن يسبك الموضوع :

« اننا ذاهبان الى حيث كنا . »

فالتفتت فيليس الى جورج وقالت :

« لقد كنت اظن أنك ستغير خطتك وتصلح من أمرك . » فقال جورج :

« كان ذلك فى نيتى ولكن — »

فتدخل هربرت فى الحديث وقال :

« هكذا هو دائما ياسيدتى . فانه يقول أى شيء ليرضى سيدة ولكنه لم يقصد حقيقة ماقاله . »

فقالت له فيليس بغضب :

« بل لقد كان يقصد ماقاله . وقد آويته ليلة أمس وأنقذته من رجال البوليس ، وكنت أحسب أنه يمكن إصلاحه غير انى أدركت الآن جهالتى . إذن لابد له من دفع ثمن طيشه وجنونه كما يفعل الرجال . يجب عليه أن يتعاطى دواءه وهأنذى سأرسل فى طلب البوليس . »

فحملق جورج فى وجه هربرت فزعا مضطربا لانه لم يكن يظن أن المسألة تتطور على هذه الصورة . وكذلك هربرت الفطن الحكيم فقد ناله شيء من الجزع أيضا وقد أخذ ينظر الى فيليس كأنما يستجدى عطفها ولكنه لم ير فى عينيها مايدل على أثارة من العطف .

ثم استطردت فيليس تقول :

« لقد سمعتما كلامى أليس كذلك ؟ انى قررت أن أستدعى البوليس ، وسأفعل ذلك من غير أن أضيع لحظة واحدة »

ثم التفتت الى هربرت وقالت له :

« هل تتفضل بالبحث عن أحد رجال البوليس وإرساله الى ؟ »

القاموس العصرى
انكليزى عربى
تأليف الياس انطون الياس
الطبعة الثالثة

فاعترض عليها جورج بقوله :

« ولكن انظرى ياسيدتى — » فسألته فيليس قائلة

« ألا تريد أن تكون رجلا صادقا ؟ » فأجابها بقوله

« نعم . ولكن الحقيقة هى — »

وكان هربرت قد . بدأ يفيق من الصدمة التى أصابته فانتحى مع جورج فى ناحية وهمس فى أذنه قائلا :

« انى آسف عليك ولم يخطر ببالى قط أن أية فتاة يمكن أن تكون قاسية بحيث تصر على أن تسلم طريد العدالة الى يد رجالها . هذا أمر لم يحدث من قبل ولست أدرى ماذا يجب أن أصنع . ولكن صغ ألى فلا فائدة من لومى فأنا ذاهب الان وثق بأنى سأزورك فى السجن فى أيام الزيارات . » فسألته قائلة :

« هل سترسل الى أحد رجال البوليس أم لا ؟ »

فرد عليها بقوله :

« من غير شك . سأرسل اليك أول بوليس أقابله نهارك سعيد . » ثم خرج من المنزل على عجل . وجعل جورج ينظر اليه بتحسر وأخيراً ألقى بنفسه على الكرسى الطويل الذى منع عنه النوم فى الليلة الماضية . وبعد هنيهة رفع بصره الى وجه فيليس وابتسم ابتسامة حزينة . فقالت له :

« هل رأيت أنك لن تستطيع أن تصلح من نفسك إلا إذا لقيت جزاءك ؟ » فرد عليها بقوله :

« نعم كل هذا حسن جداً ، ولكن اعلمى أنى لم — »

فنظرت اليه فيليس بشىء من العطف وقالت :

« تمالك نفسك فسينتهى كل شىء قريبا . هل تريد أن تقرأ جريدة ؟ فهناك شىء عن حادثة البنك . »

ثم أعطته الجريدة فأخذها من غير أن ينطق بكلمة وأخذ يحيل نظره فى نبأ تلك الحادثة . ولكنه تنبه فجأة وأبرقت عيناه . ثم حملق فى وجه فيليس فرآها تبتسم ابتسامة خفيفة . فأخذ يقول :

« هل أدركت — هل أدركت الحقيقة ؟ » فأجابته بقولها :

« لم أر أصفق من وجهك ! » فازدرد جورج ريقه وهو يقول لها .

« نعم — نعم ولكنك كنت فى منتهى الكرم إذ سمحت لى بالبقاء هنا . هل تستطيعين أن تقولى لى لماذا فعلت ذلك ؟ »

فاحمرت وجنتا فيليس وقالت :

« لا أدرى — »

ولما عاد جورج إلى مسكنه وجد هربرت مرتديا ثيابه العادية وعلى أهبة الخروج فنظر الى جورج فى شىء من الدهشة وقال :

يا إلهى لقد كنت أظن أنك فى غيابة السجن الآن وكنت على وشك الذهاب لأطلب الافراج عنك بعد دفع الكفالة ، فقال جورج مبتهجا . « لقد سامحتنى ثم جرت الأمور على أحسن الوجوه فشكراً لك على أسلوبك البديع الذى ابتكرته أيها الحمار . » فسأله هربرت قائلا

« ماذا تقول؟ » فرد عليه بقوله :

« لقد أخطأت إذ قلت لى ان الحادثة وقعت فى بنك مع أنها فى الحقيقة وقعت فى إدارة البوستة » فقال هربرت

« المسألة واحدة على كل حال وهل فرق كبير بين أن يسرق الانسان بنكا أو ادارة للبريد؟ » فرد عليه بقوله

« لا فرق فى الواقع غير أن الذى يسرق يجب أن يعرف بالضبط أى هذين المكانين سرق. ولكنى لم أعرف المكان بينما عرفته فيليس . وقد فهمت أن مسألتى مدبرة بمجرد ان رأتنى . » فتساءل هربرت قائلا :

« إذن لماذا سمحت لك بدخول المنزل؟ » فرد عليه بقوله

« آه ! هذا الذى سألتها عنه . »

صيفوا في لبنان

تجدوا فيه مناظر رائعة

هواء منعش لطيف

ماء عذب زلال

مواصلات سهلة

أسعار رخيصة

جميع وسائل الصحة وأسباب الراحة

مطبعة الجديد بشارع فؤاد الأول رقم ٦٤ — مصر